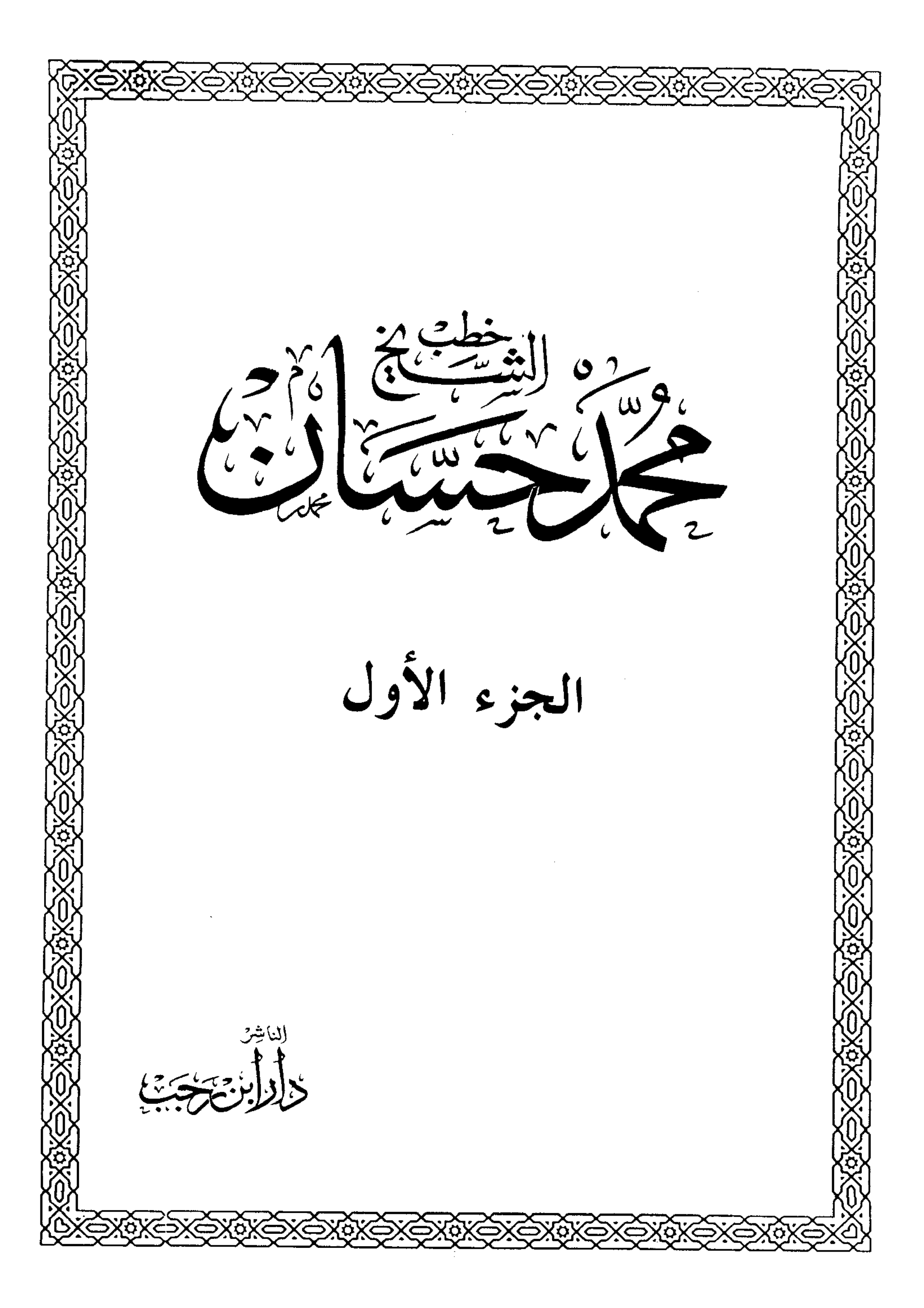

خطب الشيخ
محمد حسان
الجزء الأول
الناشر
دار ابن رجب

الطبعة الثانية
١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م

الناشر
دار ابن رجب

فارسكور ـ دمياط ت : ٤٤١٥٥٠ / ٠٥٧
المنصورة ـ محطة الأتوبيس الدولية

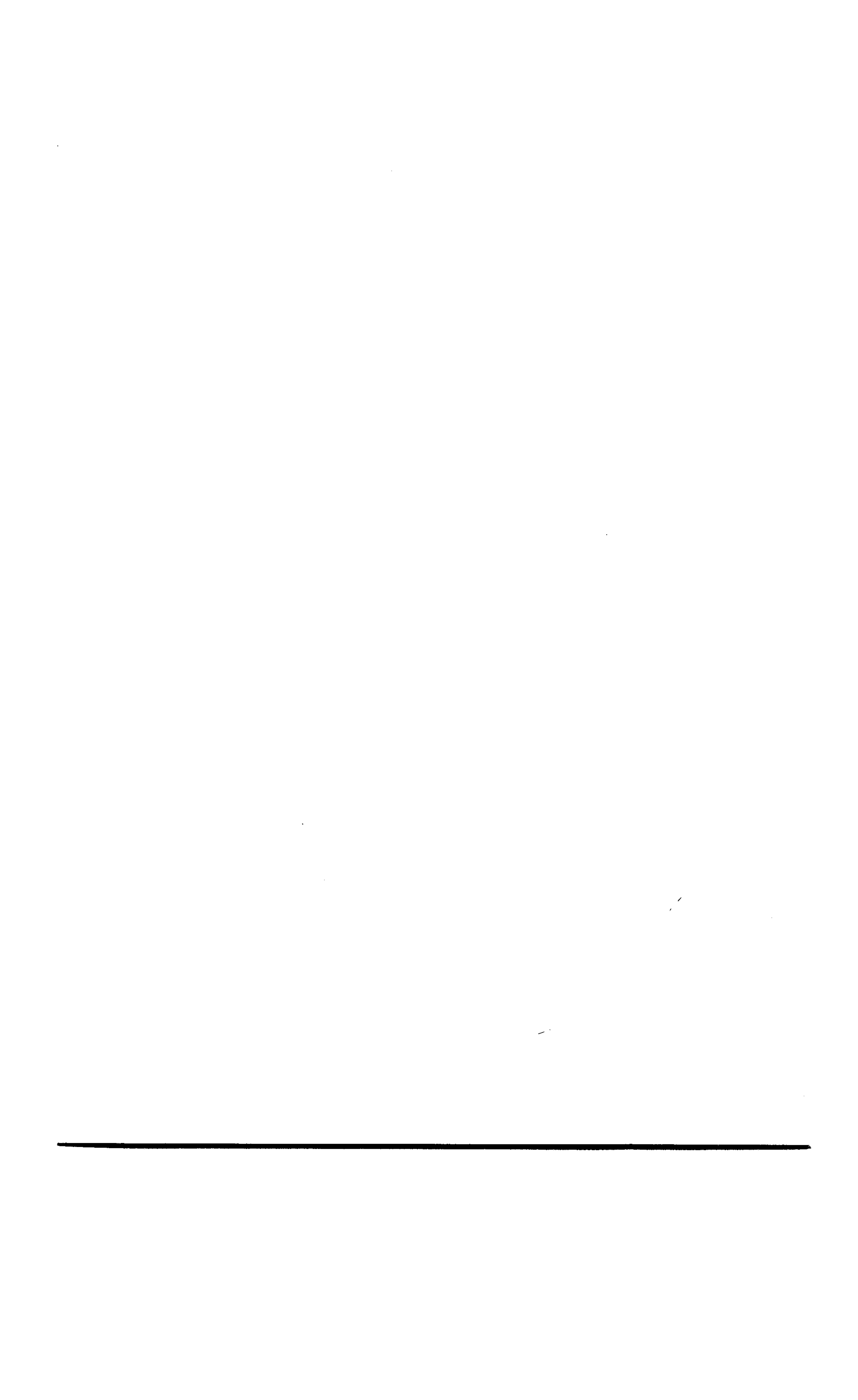
بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى(*):

« ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسي كيف بك إن نجوا وهلكت؟!

فصحت بلسان وجدي: إلهي وسيدي إن قضيت علي بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي، صيانة لكرمك لا لأجلي، لئلا يقولوا: عذب من دل عليه» .

(*) صيدُ الخاطر ص ٣٢١ طبعة دار اليقين.



المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار[4].

أما بعد:

إن الكلمة شأنُها عظيم.. وخطرُها جسيم.. ولِمَ لا؟ فَبِكَلِمَةٍ يَدْخُلُ

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة التى كان النبى ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللشيخ الألبانى رسالة نافعة فيها فراجعها.

المرءُ دينَ الله . . وبكلمة يخرجُ من دين الله . . وبكلمة يَنالُ رضوانَ الله . . وبكلمة يَستحقُ سخطَ الله . . وبكلمة تَحلُّ له امرأة . . وبكلمة تَحْرُمُ عليه . . وبكلمة يَسْعَدُ حزين أو يَحزنُ سعيد . . وبكلمة قد يُذْبَحُ شريف أو تُرمى عفيفة . . وبكلمة قد يتَمَزّقُ شملٌ ويتصدعُ صَرْحٌ ويَتَفرقُ أَحبَّة . . وبكلمة تَستَيْقظُ العَواطفُ النبيلة والضَمائرُ الحية . . وبكلمة قد تَسيلُ بركٌ من الدماء وتَنمو الأحقادُ والشحناء . . وبكلمة تبكى العيونُ وتَلينُ الجُلُودُ وتخشعُ القلوبُ وتَنْشرحُ الصدور وتَعْلُو الهِمَّم . .

والكلمة إذا كانت صادقةً فهى كلمةٌ باقيةٌ مثمرة فكم من كلماتٍ وُلدت حية وبقيت فيها الحياةُ بحياة أصحابها بل وبعد مَمَاتهم!!

بَيْنَ الجوانحِ فى الأعماق سُكْنَاهَا فكيف تُنسى ومَنْ فى النَّاسِ يَنْسَاهَا
الأُذْنُ سامعةٌ والعَيْنُ دَامِعَةٌ والروحُ خاشعةٌ والقَلبُ يَهْواهَا

والسِّرُ هو: الصدقُ والإخلاصُ اللذان يمنحان الكلمات روحاً فتبقى حيةً أبداً . . ولَيْسَتْ النَّائحةُ الثَكْلى كالنَّائحةِ المستأجرة . . ولا يَعرفُ الشَوْقَ إلا من يُكابده ولا الصَّبَابة إلا من يُعانيها . . بَلْ وكَمْ منْ أَقوامٍ تَرقُ القلوبُ بِذكْرِهم ناهيك عن قولهم . . وكم من أقوامٍ تَقْسُو القلوبُ بذكرهم ناهيك عن قولهم.

وتأملْ طويلاً هذا المَثَلَ القُرآنى الفَريد لهذه الكلمة الصَادقة الطيبة فى قول الحق سبحانه: **﴿ألم تر كيف ضرب اللّه مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء * تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب اللّه الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾**[1].

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٤، ٢٥

نعم. إن شجرَ الناسِ منه ما يثمرُ فى الصيف ومنه مايُثمر في الشتاء. . أَمَّا الشجرةُ الطيبة التى ضَرَبَها اللهُ مثلاً للكلمةِ الطيبة فهى شجرة مُباركة تُؤتى ثمارَهَا كُلَّ حينٍ بإذن ربها عز وجل. . فهى شجرةٌ كريمة لا تتأثر بالظروف ولا بِتَغَيْر الأَحوال. . إنها شجرةٌ عَميقةُ الجذور. . تَتَغَلْغَلْ فى أعماقِ التربة وقلب الصخور. . سَامقةٌ مُثمرة. . ثَابتةٌ مُستقرة. . لا تزعزها الأَعَاصيرُ. . ولا تَعصف بها الرياحُ. . ولا تحطمها معاول البطش والهدم والطغيان. .

ذلكم هو مثلُ الكلمة الصادقة الطيبة التى لا تمنعها الحواجز. . ولا تحجبها السدود. . ولا تصدها العوائق!!

فها هو الطُّفيل بنُ عمرو الدوسيُّ رضى الله عنه سيدُ قبيلة دوس. . يأتى إلى مكة ورحى الصراع دائرةٌ على أشدها بين رسول الله ﷺ وكفار قريش. . الذين انطلقوا فى شراسة ووحشية يقاومون دعوةَ النبى ﷺ بكل سبيل ويصدون الناس عنه وعن دعوته بكل وسيلة. . فلما رَأَوْا الطفيلَ أقبل عليه السادةُ والكبراءُ من أهل مكة. . وقالوا يا طفيل إنك قد قَدِمْتَ بلادَنا وهذا الرجلُ الذى يَزْعُمُ أنه نبى قد أفسدَ أمرنَا وَمَزَّق شَمْلَنا وشتت جَماعتنَا ونحنُ نخشى عليكَ منه وأن يَحِّلَ بِك وبزعامتِك فى قَومِك ما قد حَلَّ بنا. .

فلا تُكلْم الرجل ولا تَسْمَعَنَّ منه شيئاً فإن له قولاً كالسحر يُفرق بين الولد وأبيه والأخ وأخيه والزوج وزوجه. .

يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بى يَقُصُّونَ علىَّ ويخوفوننى على نَفسى وقومى من محمد حتى أَجْمَعْتُ أمرى على ألا أقترب منه ولا أكلمه كلمةً واحدة أو أَسْمَعَ منه شيئاً.

فلما غدا الطفيل إلى المسـجدِ حَشَّا فى أُذُنَيْه قُطْناً خوفاً من أن يسمعَ شيئاً من النبى ﷺ. . ولكن هيهات هيهات!!

يقول الطفيل: فلمـا دخلتُ المسجدَ وجدتُه قائمـاً يُصلى عند الكعبة صلاةً غـير صلاتنا، ووجـدتُ نفسى قـريباً منه، وأَبَى اللهُ إلا أن يُسْمِعَنى بعضَ ما يقول محمد ﷺ فسمعت كلاماً حسناً. .

فَقُلتُ فى نفسى: ثكلتك أُمُّك يـا طُفيل إنك لرجلٌ لَبيبٌ شاعـر وما يخفى عليك الحسن من القبيح. . فما يمنعك أن تسمع من الرجل ما يقول؟!

ثم تَبِعَ النبىَّ ﷺ وطلب منه أن يعـرض عليه أمـره. . فعـرض النبى ﷺ عليه السلام.

يقول الطفيل: فوالله ما سمـعتُ قولاً أحسنَ من قوله ولا رأيت أمراً أَعْدَلَ من أمـره فبـسطت يدى له وشـهدت ألا إله إلا الله وأن مـحمـداً رسول الله ودخلت فى الإسلام. .

ثم انطلق الطفيل على الفور بهذا النـور إلى قومه دوس فهداهم الله للإسلام وكان من بينهم رواية الإسلام العظيم أبو هريرة رضى الله عنه الذى يجىء يوم القيامة فى ميزان الطفيل كما تجيء الأمة كُلُّها فى ميزان المصطفى ﷺ. .

وهكذا ذهبت البرامج الإعلامـية التى وضعها جهـازُ إعلامِ المشركين فى مكة لصدِّ الطفيل عن سـماع دعوة الحق. ذهبت أدراج الرياح. . بل وذهب أصحابُ هذه الخطط الآثمة والبرامج المزورة وبقيت دعوة الحق. . لأنها لا تموت بموت حـداتها بل يحملـها المخلصون الخـالصون من أبناء الطائفة المنصورة فى كل زمان ومكان. . ولو مـاتت هذه الدعوة الصادقة بموت حملتها ودعاتها لماتت بموت سيدِ الحُدَاةِ والدعاة محمدٍ ﷺ.

هذا شأن الكلمة.. ومِنْ ثَمَّ فهـذا شأنُ صاحبها.. فـمهمةُ الخطيب مهـمةٌ شاقة ولا ريب.. ولا يعـرف قَدْرَ هذه المشقة إلا من احتـرم منبره ونفسَه وجمهـوره الذى قد يتكبدُ هو الآخرُ المشاقَ والصعـابَ لسماعهِ أو للجلوسِ بين يديه.. وهذا يُحـتِّمُ على الخطيبِ استعـداداً خاصـاً تتجلى ثمراتُه على المنبر فى لهجةٍ صادقة.. ونصيحةٍ مُخلصة.. وكلماتٍ نيرة.. وأفكارٍ مرتـبة.. وأدلةٍ ناصعـة.. وحججٍ بالغـة.. وعبـارات مؤثرة.. ونظرة ثاقبة متبصرة.. ليربطَ مستمعيه بالماضى المجيد.. فى غير غفلةٍ عن حاضرٍ فـيه الأملُ والألم.. فيه الـدمعةُ والبَسْمَة فيـه الجراحُ والأفراحُ.. ليستمد من هذا وذاك دماءً زكيـة تتدفقُ فى عروقِ المستقبل.. وليضع يده بحكمة ورحـمة على مـوطنِ الداء ليستل جـرثومتَه بيـد بيضاءَ نقـية.. وليبعث فى قلوب المؤمنين الشعورَ بالعـزة من غير كِبْر.. وروح الثقة فى غيـر اغتـرار.. وحلاوة اليـقين فى غير تواكـل.. والاستهـانة بالمظاهر الجوفاء فى غير خُيلاء.. والاهتمامَ بالحقائق الناصعة البيضاء.. واستقبال الشدائد فى سـبيل الله بثغرٍ باسم ونفس مطمـئنة.. والشعور بالمسـئولية الكبيـرة الملقاة على كـواهلهم لانتشـال هذه البشـرية الحائرة التـائهة من الضلالة إلى الهداية ومن الظلمات إلى النور.

ما أجَله من عمل!!

وما أشرفَها من وظيفة!!

وكيف لا وهى وظيفـة الأنبياء والمرسلين ﴿**ومن أحسن قـولاً ممن دعا إلى اللَّه وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين**﴾[1].

(١) سورة فصلت: ٣٣.

وبعد فإذا كان هذا شأنُ الكلمة وشأن الخطيب(*) فهذه مجموعة من خطب الجمعة والعيدين التى ألقيتها وقد أَصَرَّ كثير من الأحبه ـ الذين يُحسنون الظنَّ بى – أن أقدمها مكتوبةً كذلك لأنهم يُعَانون فى تفريغها من الأشرطة. . وها أنذا أُلَبِّى هذه الرغبةَ على استحياء. . لا من منطلق الشعور بالأهلية. . لا وَرَبِّ الكعبة بل من منطلق الشعور بالمسئولية. . والقاعدة الأصولية تقول: من عَدِمَ الماء تيمَّم بالتراب. . واللهَ أسأل أن ينفع بها وأن يجعلها خالصةً لوجهه وأعوذ بالله أن أُذَكِّرَ بهذا وأنساه وأعوذ بالله أن أكون جسداً يَعْبُرُ الناسُ عليه إلى الجنة ويلقى به فى جهنم إنه ولىُّ ذلك ومولاه وهو على كل شىء قدير.

اللهم إنى أعوذ بك من فتنة القول وزوره. . وخطأ الرأى وغروره. . اللهم تجاوز عن زلاتى وجرأتى. . اللهم لا تجعل حظى من دينى قولى. وارزقنى الصدق فى نيتى وعملى. . اللهم إنى أعوذ بك أن أقول زوراً. . أو أغشى فجوراً. . أو أن أكون بك مغروراً. . اللهم إنى أعوذ بك من الفقر إلا إليك. . وأعوذ بك من الخوف إلا منك. . وأعوذ بك من الذل إلا إليك. . اللهم إنى أبرأ إليك من حولى وقوتى وألجأ إلى حولك وقوتك لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين. . فوالله ما عصيتك جاهلاً بمقدار نعمك. . ولا ناسياً لعظيم كرمك. . فعاملنى بإحسانك وفضلك يا أرحم الراحمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو أحمد محمد بن حسان

مصر – المنصورة – شهر رجب ١٤١٦ هـ

(١) هناك الكثير من المراجع التى تكلمت عن الخطيب والخطبة وأنواعها والخطابة وخصائصها وكيفية إعداد الخطيب وأهم المقومات والمراجع التى يحتاجها الخطيب. . إلخ فلتراجع لأهميتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الإيمان والاستقامة(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد الجمعية الشرعية بالمنصورة.

(1) سورة آل عمران: ١٠٢.

(2) سورة النساء: ١.

(3) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله :

ها هى الأيام تمر .. والأشهر تجرى ورائها .. وتسحب معها السنين.. وتجر خلفها الأعمار.. وتطوى حياةُ جيل بعد جيل.

فالحمد لله الذى جمعنا فى الدنيا على محبته وطاعته ونسأله سبحانه وتعالى أن يجمعنا وإياكم مع حبيبنا المصطفى فى جنته ودار كرامته.

نضر الله هذه الوجوه التى طال شوقنا إليها. وزكَىٰ الله هذه النفوس التى انصهرنا معها فى بوتقة الحب فى الله.

وشرح الله هذه الصدور التى جمعنا وإياها كتابُ الله. وبارك الله فيكم جميعاً وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

أحبتى فى الله:

تعالوا بنا لنعيش بعض الوقت مع آيات من القرآن الكريم.. فهو النعمة الباقية..، والعصمة الواقية..، والحجة البالغة..، والدلالة الدامغة..، وهو شفاء الصدور والحكم العدل عند مشتبهات الأمور..، وهو سراج لا يخبو ضياؤه.. وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه.. بهرت بلاغته العقول وظهرت أحكامه على كل مقول.

أنزله الله على رسوله ﷺ لينشىء به أمة، وليقيم به دولة، ولينظم به مجتمعاً وليربى به العقول والقلوب والضمائر والأخلاق.

فما أنزل الله هذا القرآن لتزين به الجدران، أو لتحلى به الصدور أو ليقرأ على القبور.

بل ما أنزله الله إلا ليكون منهج حياة..، وإلا لتنفذه الأمة حرفاً حرفاً..، وكلمة كلمة..، وتكليفاً تكليفاً..، وحكماً حكماً.

ولكن أَبَت أمة القرآن إلا أن تهجر القرآن، وما أشقى من تغافل عن دائه وأعرض عن دوائه ولم يسع لشفائه.. فظل فى ضنكة وشقائه.

فوالله الذى لا إله غيره لن تسترد الأمة هويتها وكرامتها وقيادتها إلا إذا عادت إلى كتاب الله عز وجل وحولته إلى منهج حياة. نسأل الله ذلك إنه ولى ذلك ومولاه.

أحبتى فى الله:

أعيرونى القلوب والأسماع وتعالوا بنا لنعيش مع هذه الآيات الكريمات من سورة فُصِّلَت.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:

﴿إن الذين قالوا رَبُّنَا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكةُ ألا تخافوا ولا تحزنوا وأَبشِرُوا بالجنة التى كنتم تُوعَدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولكم فيها ما تشتهى انفُسُكُم ولكم فيها ما تَدَّعون * نُزُلاً من غفور رحيم﴾(١).

﴿إن الذين قالوا رَبُّنَا اللَّه﴾.

وحدوا الله عز وجل ولم يشركوا به شيئا وأخلصوا العبادة له وحده

(١) سورة فصلت: ٣٠-٣٢.

وكفـروا بجـميع الآلهـة، والأرباب، والأنداد، والطواغيت، وأخلصـوا دينهم لله عز وجل.

﴿إن الذين قالوا رَبُّنَا اللَّه﴾ .

فأفردوه تبارك وتعالى وحده بالخلق والأمر، والملك والرزق، والتدبير والتصـريف، كما قال سبـحانه: **﴿ألا له الخلق والأمـــر تبـــارك اللَّه رب العالمين﴾**[١] فَأَقَرُّوا بأن الله وحـده هو الخـالق وما عـداه مـخلوق. وهو الرازق وما عداه مرزوق، وهو الرب ومـا عداه مربوب، وهو المالك وما عداه مملوك.

﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه﴾.

فأفردوه وحـده بالعبادة والعـبودية وهذا هو أصل الدين، وهو الذى لأجله بعث الله الرسل وأنزل الله الكتب وخلق الجنه والنار فـلا خضوع إلا لله وحده. . ، ولا انقياد إلا لله وحده. . ، ولا محبة إلا لله وحده. . ، ولا تسليم إلا لله وحده. . ، ولا خـوف إلا من الله وحده. . ، ولا رجاء إلا فيه. . ، ولا تسليم إلا له . . ، ولا تـفويض إلا إليه. . ولا توكل إلا عليه. . ولا صـبر إلا على بابه. . ولا رجـاء إلا لما فى يديه الكريمتين. . ولا حلف إلا به، ولا نذر إلا له، ولا ذبح إلا له. . ولا سؤال إلا منه، ولا استعانه إلا به، ولا استغاثه إلا به، ولا طواف إلا ببيته جل وعلا.

﴿قل إن صَلاتى ونُسُكِى ومَحيَاىَ ومماتى لله رب العالين * لا شريك له وبذلك أمرتُ وأنا أوَّلُ المسلمين﴾[٢].

---

(١) سورة الأعراف: ٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه﴾ .

فأفردوه سبحانه وتعالى وحده بأسماء الجلال وصفات الكمال . . سبحانه وتعالى جلّ عن الشبيه والنظير والمثيل . . لا كفؤ له، ولا ند له، ولا ضد له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا زوج له، ولا مثيل له، لا تدركه العقول، ولا تكيفه الأفهام ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾[1] .

﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه﴾ .

فكفروا بجميع الطواغيت والأنداد والآلهة والأرباب وأعلنوا توحيدهم لله وحده وجعلوا ولاءهم وبراءهم لله وحده . . وحققوا بذلك كلمة التوحيد الذى ما خلقهم الله جل وعلا إلا لأجله وما أرسل الله الرسل للناس إلا ليدعوهم إلى توحيد الله عز وجل، وما خلق الله الجنة والنار إلا لأجله .

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم اسقاموا﴾ .

استقاموا على هذا التوحيد الكامل العظيم، فلم يكتفوا بالقول دون العمل فهذه شيم أهل النفاق والعياذ بالله . . لأن الإيمان بالله : قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان . .

وكما قال الحسن رحمه الله :

« ليس الأيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقته الأعمال فمن قال خيراً وعَمِلَ خيراً قُبِلَ منه، ومن قال خيراً وعَمِلَ شراً لم يُقبَل منه » .

---

(١) سورة الشورى : ١١ .

وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى كتاب الإيمان من حديث العباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً»[(١)].

وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عن أبى عمرو وقيل أبى عَمْرَة سفيان بن عبد الله رضى الله عنه وهو صحابى جليل أسلم مع وفد ثقيف وروى عن النبى ﷺ خمسة أحاديث وكان عاملاً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على صدقات الطائف. قال سفيان: قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً غيرك (وفى رواية الامام احمد والنسائى لا أسأل عنه أحداً بعدك) قال: **«قل آمنت بالله ثم استقم»**[(٢)].

وفى رواية الترمذى قال: قلت يا رسول الله حدثنى بأمر أعتصم به قال: **«قل ربى الله ثم استقم، قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علىّ؟ فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه ثم قال هذا»**[(٣)].

وأخرج ابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد فى الزهد والحكيم والترمذى وابن المنذر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿**إن الذين..**﴾ فقال: «استقاموا على طاعة الله فلم يروغوا روغان الثعلب».

ويقول الحافظ ابن رجب الحنبلى فى جامع العلوم والحكم فى شرحه للحديث الحادى والعشرين: [وأصل الاستقامة استقامة القلب على

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٣٤٢٥] رواه مسلم باب ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً رقم (٣٤)، والترمذى (٢٧٥٨).

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٤٣٩٥] رواه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (٣٨)، والترمذى برقم (٢٤١٠)، وكذا رواهم أحمد والنسائى وابن ماجه.

(٣) **صحيح**: [ص.ت: ١٩٦٥، ٢٥٣٥].

التوحيد] كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قوله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله ومهابته، ومحبته ورجائه، ودعائه، والتوكل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعه الله فإن القلب هو ملك الأعضاء وهى جنوده فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه.

كما قال النبى ﷺ فى حديث النعمان بن بشير الذى رواه البخارى ومسلم: «.. **ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب**»(١).

هذا هو التوحيد الكامل الذى يغفر الله معه أى ذنب فهو الأكسير الأعظم الذى لو وضعت ذرة منه على جبال الذنوب والخطايا لأذابتها بل وبدّلتها حسنات لأن للتوحيد نوراً يبدد ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا النور وهذا هو السر الأعظم الذى ثقل بطاقة الرجل، وطاشت من أجله السجلات كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله.

ففى الحديث الصحيح الذى رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى ورواه الترمذى فى كتاب الإيمان وقال حديث حسن غريب وصححه شيخنا الألبانى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتى**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١/ ٢٢)، ومسلم (٥/ ٥٠-٥١)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذى (١/ ٢٢٧)، والدارمى (٢/ ٢٤٥)، وابن ماجه (٣٩٨٤)، وأحمد (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠).

الحافظون؟ فيقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: أحضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فإنه لا يثقل مع اسم الله تعالى شئ»[١].

فالسرّ هو كمال التوحيد يا عباد الله.

وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء من حديث أبى ذر وهذه رواية الترمذى من حديث أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال تعالى: يابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، يابن آدم لو أتيتنى بُقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[٢].

هذا هو التوحيد الكامل الذى من مات عليه دخل الجنة واستحق من عاش عليه هذه البشرى الكريمة العظيمة من الملائكة كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**تتنزل عليهم الملائكة**﴾ وفى وقت تنزل الملائكة عدة أقوال والبيان بعد جلسة الاستراحة إن شاء الله تعالى.

* * *

---

(١) صحيح: [الطحاوية: ٥٦٧] [المشكاة: ٥٥٥٦] [الصحيحة: ١٣٥]، أخرجه الترمذى (٢/١٠٦-١٠٧)، ابن ماجه (٤٣٠٠) وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى قال الألبانى: وهو كما قالا.

(٢) حسن: [الصحيحة: ١٢٧، المشكاة: ٤٣٣٦]، رواه الترمذى (٢/ ٢٧٠)، والدارمى (٢/ ٣٢٢)، أحمد (٥/ ١٧٢).

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أيها الأحباب الكرام يقول الله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة**﴾.

أى: عند الموت، قاله مجاهد والسدى وزيد بن أسلم.

نعم.. فى هذه اللحظات الحاسمة إذا ما انتهى الأجل واقتربت ساعة الصفر..، وناموا على فراش الموت..،وقد نزل بهم الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، الذى يقطع الأوصال..، ويفرق الأعضاء..، ويهدم الأركان..، حتى اشفقت عائشة رضى الله عنها على سيد الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ وهو يموت على صدرها.

ففى صحيح البخارى عنها قالت: «**مات رسول اللَّه وإنه لبين حاقِنتى وذَاقِنَتِى فلا أكره شدَّة الموت لأحدٍ أبداً بعد ما رأيت رسول اللَّه ﷺ**»[١].

وفى صحيح البخارى عنها أيضاً أنها قالت: إن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يدية فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا اللَّه إن للموت سكرات**» ثم نصب يديه فجعل يقول: «**فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده**»[٢] صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى وأحمد (٢٤٣٤٦/ ٣٤٤).

(٢) **صحيح**: [المشكاة: ٥٩٥٩] [ص.ج: ٧١٧٥] رواه البخارى وأحمد.

ففى هذه اللحظات بين السكرات والكربات تتنزل الملائكة على هؤلاء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وتبشرهم بفضل الله عليهم وكرامة الله لهم.

كما جاء فى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه بسند صحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: أخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب أخرجى حميده وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج»**(١).

وهنا يستبشر العبد المؤمن فيشتاق إلى لقاء الله عز وجل.

ففى الحديث الذى رواه البخارى فى كتاب الرقاق ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء وهذا لفظ مسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **«من أحب لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ ومن كَرِهَ لقاءَ الله كره اللهُ لقاءَهُ»** فقلت: يا نبى الله، أكَرَاهِيَةُ الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال: **«ليس كذلك، ولكن المؤمنَ إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاءَ الله فأحب اللهُ لقاءَهُ، وإن الكافر إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسخَطِهِ كَرِهَ لقاء الله فكره اللهُ لقاءه»**(٢).

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية:

---

(١) صحيح: [الجنائز: ١٥٥] [المشكاة: ١٦٣٠] رواه أحمد (٥/ ٢٨٧-٢٨٨)، وأبو داود رقم (٤٧٥٣).

(٢) متفق عليه: [ص.ج: ٥٩٦٤، المشكاة: ١٦٠١، ١٦٠٢]، رواه البخارى (١١/ ٣٠٨) فى الرقاق، ومسلم رقم (٢٦٨٣) فى الذكر والدعاء، والترمذى رقم (١٠٦٦) فى الجنائز، والنسائى (٤/ ١٠) فى الجنائز باب «فيمن أحب لقاء الله».

«تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياؤكم أى قرناؤكم فى الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم فى الآخرة نؤنس منكم الوحشة فى القبور وعند النفخة فى الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم»(١).

وقال ابن عباس وقتادة وابن أبى حاتم:

تتنزل عليهم الملائكة يوم خروجهم من قبورهم. أى يوم ينفخ إسرافيل فى الصّور فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً. وحينئذ ترى الفضائح والأهوال نسأل الله لنا ولكم العافية.

ففى الحديث الذى رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يُبعث كل عبد على ما مات عليه»(٢).

* فمنهم من يقوم ونوره يشرق من وجهه ومن أعضاءه وعن يمينه وبين يديه **﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾**.

قال عبد الله بن مسعود فى هذه الآية:

فمنهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره فى إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة»(٣).

---

(١) [تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٩٩ ط. التراث الإسلامى].

(٢) **صحيح**: [السنة: ٨٦٥، المشكاة: ٥٣٤٥] رواه مسلم فى باب «الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت» برقم (٢٨٧٨).

(٣) رواه ابن أبى حاتم وابن النذر وابن مردويه كما قال الإمام السيوطى فى الدر المنثور ورواه الحاكم فى المستدرك وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبى فقال: بل هو على شرط البخارى.

* ومنهم من يقوم والظلمة تحيط به من كل جانب.

* ومنهم من يقوم ينبعث منه الدم، وله رائحة طيبة كالمسك، وهؤلاء هم الشهداء فى سبيل الله كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم.

* ومنهم من يقوم ملبياً، لبيك اللهم لبيك، كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى وهؤلاء الذين ماتوا بلباس الإحرام.

* ومنهم من تقوم من النساء وعليها جلباب من لعنة الله ودرع من النار ويدها على رأسها تقول: يا ويلاه وهى النائحة كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم والنسائى وابن ماجه.

* ومنهم من يقومون وبطونهم منتفخة يتخبطون كالذى يتخبطه الشيطان من المس وهؤلاء هم أكلة الربا **﴿الذين يأكلون الربا لا يقُومون إلا كما يقوم الذى يَتَخَبَّطُهُ الشيطانُ من المَسِّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل اللَّه البيعَ وحرمَ الربا فمن جاءه موعظةٌ من ربه فانتهى فله ما سَلَفَ وأمره إلى اللَّه ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[١].

* ومنهم من يقوم وكأس الخمر معلق فى رقبته.

وترى الذين أكلوا أموال اليتامى ظلماً وقد تجمع حولهم هؤلاء الأيتام يدفعونهم فى أرض المحشر للعرض على الله جل وعلا: **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا﴾**[٢].

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) سورة النساء: ١٠.

وترى الذى سرق شيئاً يأتى وهو يحمله يوم القيامة ﴿**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**﴾[١].

أما الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يقومون ومعهم الملائكة تبشرهم بفضل الله جل وعلا وكرامة الله لهم. يقولون لهم: ﴿**لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم**﴾[٢].

لكم فى الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه الأنفس وتقر به الأعين، فمهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم.

نزلاً أى ضيافة وعطاء وإنعاماً وإكراماً لكم من غفور رحيم.

غفر لكم الذنوب..، وستر عليكم العيوب..، ولطف بكم فى يوم الأهوال والكروب.

وفى الحديث الذى رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله عز وجل: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذنٌ سمِعَت ولا خطر على قلب بشر » واقرأوا إن شئتم: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانو يعملون﴾[٣].

---

(١) سورة آل عمران: ١٦١.

(٢) سورة فصلت: ٣٠، ٣١.

(٣) **متفق عليه**: [ص.ج: ٤٣٠٧]، رواه البخارى (٦/ ٢٣٠) فى بدء الخلق باب «ما جاء فى صفة الجنة»، وفى التفسير وفى التوحيد، ومسلم رقم (٢٨٢٤) فى فاتحته، والترمذى رقم (٣١٩٥) فى التفسير. والآية من سورة السجدة: ١٧.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن فى الجنة سوقاً يأتونها كلُّ جمعة، فتهب ريحُ الشمال، فتحثو فى وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حُسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً»[1].

وفى الحديث الذى رواه أحمد والترمذى والبزار والطبرانى وابن حبان وحسنه المنذرى فى الترغيب والترهيب وحسنه ابن حجر الهيثمى فى مجمع الزوائد عن أبى هريرة قال: قلنا يا رسول الله صف لنا الجنة ما بناؤها قال: **«لبنة من ذهب ولبنة من فضة ومِلاطُها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم»**[2].

وأعلموا أن نعيم الجنة ليس فى لبنها وخمرها وعسلها وتصورها وحريرها وحورها.

ولكن نعيمها الحقيقى فى رؤية وجه ربها جلا وعلا.

ففى الحديث الذى رواه مسلم عن صهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من**

---

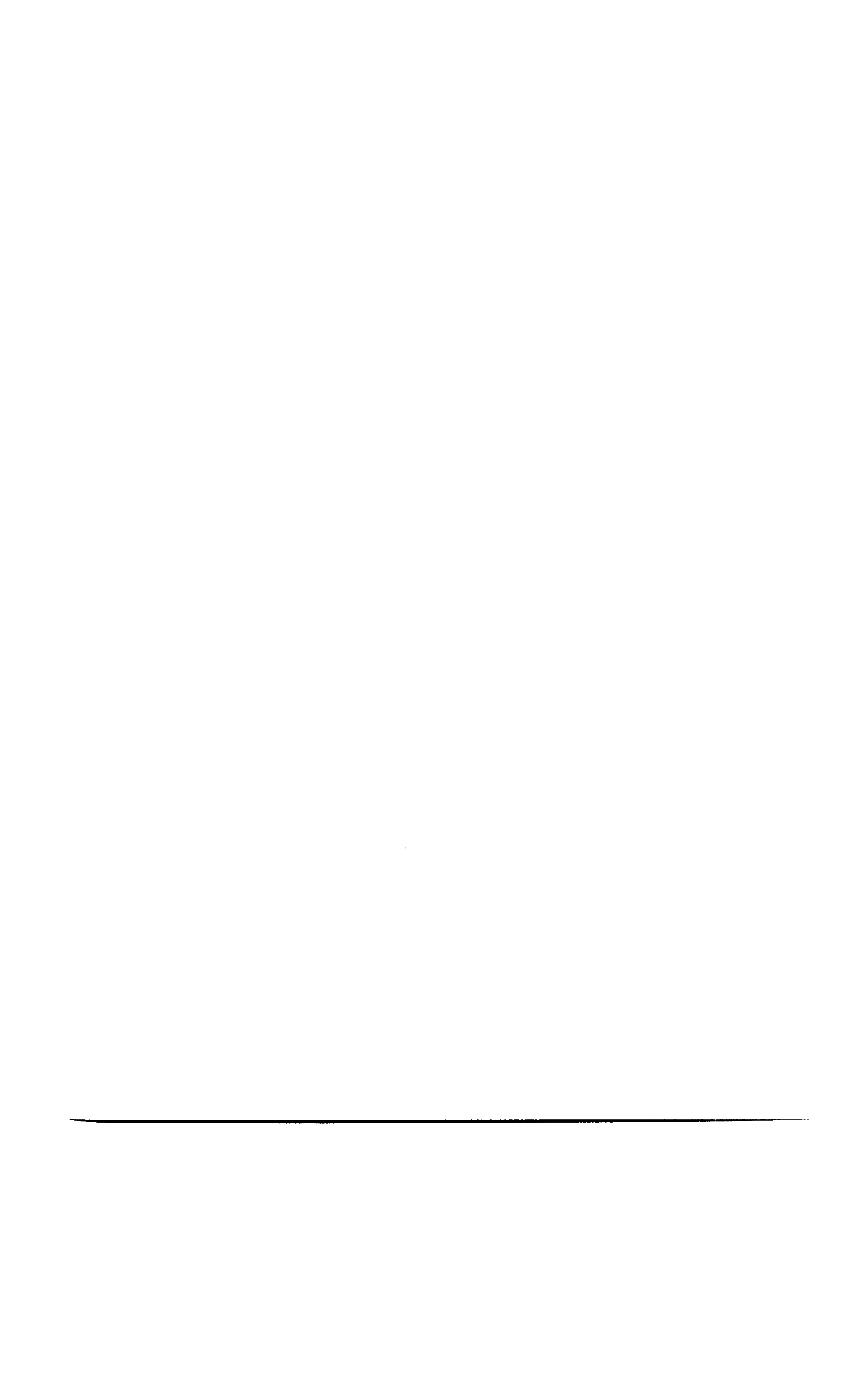
(١) **صحيح**: [الصحيحة: ١٣٣٦]، رواه الترمذى رقم (٢٥٢٨) فى صفة الجنة وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى برقم (٢٠٥٠/٢٦٥٩).

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٢١٢٤] رواه مسلم رقم (٢٨٣٣) فى صفة الجنة، ورواه أحمد والدارمى وأبو نعيم.

النار، قال فيُكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» ثم تلى النبى ﷺ: **﴿للذين احسنوا الحسنة وزيادة﴾** .

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإيمان والاستقامة وأن يختم لنا بخاتمة السعادة وأن يدخلنا الجنة ولا يحرمنا الزيادة، اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى، اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة، وبعد الموت جنة ورضواناً أنت ولى ذلك ومولاه وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *



الخطبة الثانية:

فضل العلم وخطورة التعالم(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد النبى موسى بالسويس.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

وبعد . .

فمـرحباً بكم أحبـتى فى الله فى هذا اللقاء الطيب المبـارك مع فضل العلم وخطورة التعالم. وهو موضوع جـدير بالدراسة والعناية والاهتمام جعلنى الله وإياكم من الصادقين.

أحبتى فى الله :

ونظراً لطول الموضوع فسوف أركز الحديث مع حضراتكم فى العناصر التالية :

أولاً : فضل العلم من الكتاب والسنة.

ثانياً : العلم المعتبر شرعاً.

ثالثا : أنفع الطرق لتحصيل العلم.

رابعًا : خطورة التعالم ومظاهره.

خامساً : فما هو العلاج ؟!

أولاً - فضل العلم من الكتاب والسنة:

أحبتى فى الله:

إن أفضل مـا يطلب فى هذه الدنيا هو العلم وكـفانا أن نعلم أن الله تبارك وتعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شئ إلا من العلم فقال له سبحانه وتعالى: ﴿**وقل ربى زدنى علماً**﴾[١].

بل ويشهد الله جل وعلا لنفســه بالوحدانية ثم يثنى فى هذه الشهادة الجليلة الكريمة بملائكته ثم بأهل العلم فيقول سبحانه وتعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أنه لا إله إلا هو والملائكةُ وأولوا العلم قـائماً بالقسـطِ لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾[٢].

ويشهد سبحانه وتعالى لأهل العلم بهذه الشهادة الكريمة فيقول تعالى: ﴿**إنما يخشَى اللَّه من عبادِه العلماءُ**﴾[٣].

ثم يرفع الله قدرهم ومنزلتهم فـيقول: ﴿**يرفع اللَّه الذين آمـنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾[٤] والآيات فى ذلك كثيرة ولله الحمد والمنة.

فلا طريق إلى معرفة الله، وإلى الوصول إلى رضوانه، والفوز بقربه، ومجاورته فى الآخـرة إلا بالعلم النافع الذى بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.

وما دام العلم باقـياً فى الأرض فالناس فى هدى، وبقاء العلم بـبقاء حملته فإذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس فى الضلال.

---

(١) سورة طه: ١١٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٨.

(٣) سورة فاطر: ٢٨.

(٤) سورة المجادلة: ١١.

كما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عـمرو عن النبى ﷺ: **«إن الله لا يقبضُ العلمَ إنتزاعاً ينتزعُهُ من النـاس ولكن يقـبضُ العلمَ بقـبض العلمـاء حـتى إذا لـم يَتْرُكْ عـالماً، اتخـذ الناس رؤوساً جُهَّالاً فسُئِلُوا فأفتَوْا بغير علم فضَلُّوا وَأضَلُّوا»**[1].

وصدق من قال:

مـا الفخـر إلا لأهل العلم إنهم	على الهـدى لمن استـهدى أدلاء
وقدر كل أمرىء مـا كان يحسنه	والجـاهلون لأهل الـعلم أعـداء
فــفــز بعلم تـعش حـيــاً به	ابداً الناس مـوتى وأهل العلم أحياء

وورد فى فضل العلم أحاديث كثيرة:

* ففى الحـديث الصحـيح الذى رواه البخـارى ومسلم مـن حديث معـاوية رضى الله عنه قال: قـال رسول الله ﷺ: **«من يرد الله به خـيـراً يفقهه فى الدين»**[2].

* وفى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى وابن مـاجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال:

«من سلك طريقـاً يلتـمس فـيـه علمـاً سـهل الله له طريقـاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رِضىً بما يصنع، وإن العـالم ليستغفر له من فى السمـوات ومن فى الأرض حـتى الحيتـان فى الماء وفـضل العـالِمَ على العـابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلمـاء ورثة الأنبـياء، إن الأنبـيـاءَ

---

(١) متفق عليه: [ص.ج: ١٨٥٤] واللفظ لمسلم رقم (٢٦٧٣) فى كتاب العلم باب «رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن».

(٢) متفق عليه: [ص.ج: ٦٦١١]، رواه البخارى (٦/ ١٥٢) فى الجهاد، ومسلم برقم (١٠٣٧).

لم يوِّرثوا ديناراً ولادرهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»[١].

* وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال لعلى: «**فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمرِ النَّعم**»[٢].

* وفى الحديث الذى رواه مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالح يدعُو له**»[٣].

* وعن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه قال: أتيت النبى وهو فى المسجد متكئ على بُرد له أحمر فقلت له: يا رسول الله إنى جئت أطلب العلم فقال: «**مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب**» رواه أحمد والطبرانى بإسناد جيد واللفظ له وابن حبان فى صحيحه ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وحسنه شيخنا الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب[٤].

*وعن أبى أمامة الباهلى قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**فضل العالم على**

---

(١) **حسن**: [صحيح الترغيب: ٦٨] رواه أبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢) فى العلم، والترمذى (٢٦٨٣، ٢٦٨٤)، ورواه أحمد وابن ماجه والدارمى وابن حبان فى صحيحه وغيرهم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٧/ ٥٨) فى المغازى باب «مناقب على بن أبى طالب»، ومسلم برقم (٢٤٠٦) فى فضائل الصحابة، وأبو داود رقم (٣٦٦١) فى العلم.

(٣) **صحيح**: [ص.ج: ٧٩٣]، رواه مسلم رقم (١٦٣١) فى الوصية، باب «ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته»، وأبو داود رقم (٢٨٨٠) فى الوصايا، والترمذى رقم (١٣٧٦) فى الأحكام، النسائى (٦/ ٢٥١).

(٤) **حسن**: [صحيح الترغيب: ٦٩].

العابد كفضلى على أدناكم»، ثم قال رسول الله : **«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملةُ فى جُحرها وحتى الحوتَ ليصلُّون على مُعَلِّمى الناس الخير»** رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وصححه شيخنا الألبانى حفظه الله(١).

* وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أبى واقد الليثى رضى الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس فى المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثةُ نفرٍ، فأقبل إثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفا على رسول الله فأما أحدهما: فرأى فُرجَة فى الحلقة، فجلس فيها، وأما الآخر: فجلس خَلفَهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدُهم فآوى إلى الله عز وجل فآواه الله، وأما الآخر فاستحيى، فاستحيى الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»**(٢).

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً ولله الحمد والمنة.

ثانياً - العلم المعتبر شرعاً:

أعنى الذى مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق هو كما يقول الإمام الشاطبى: رحمه الله فى المقدمة الثامنة من كتابه القيم الطيب الموافقات.

يقول العلم المعتبر شرعاً هو العلم الباعث على العمل الذى لا يخلىّ

(١) **صحيح**: [صحيح الترغيب: ٧٨]، رواه الترمذى برقم (٢٦٨٦) فى العلم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (١/١٤٣، ١٤٤) فى العلم، ومسلم رقم (٢١٧٦) فى السلام، والموطأ (٢/ ٩٦٠، ٩٦١)، والترمذى (٢٧٢٥) فى الاستئذان.

صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً.

ثم يقول رحمه الله فى المقدمة السابعة:

إن كل علم لا يفيد عملاً فليس فى الشرع ما يدل على استحسانه.

* فروح العلم أيها الأحباب هو العمل وإلا فالعلم عارية وغير منتفع به فقد قال الله تعالى: ﴿**إنما يخشَى اللَّهَ من عباده العلماءُ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وإنه لذو علم لما علمناه**﴾[٢] قال قتاده يعنى لَذو عمل بما علمناه.

فالعلم لا ينفع بدون العمل

﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند اللَّه أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾[٣].

﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾[٤].

وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله يقول: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنِه فيدُورُ بها كما يدُور الحمار فى الرَحَى، فيجتمع إليه أهلُ النار، فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه**»[٥].

(١) سورة فاطر: ٢٨.
(٢) سورة يوسف: ٦٨.
(٣) سورة الصف: ٢، ٣.
(٤) سورة البقرة: ٤٤.
(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦/ ٢٣٨) فى بدء الخلق، باب «صفة النار» وفى الفتن، ومسلم رقم (٢٩٨٩) فى الزهد.

لذلك كان النبى ﷺ يدعو الله ويستعيذ بالله من علم لا ينفع كما صح عنه فى الحديث الذى رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع ،ومن دعاءٍ لا يُسمع**»[١].

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول: إنما أخاف أن يقال لى يوم القيامة أعلمت أم جهلت؟، فأقول علمت. فلا تبقى آيه من كتاب الله آمرة، أو زاجرة إلا جاءتنى تسألنى فريضتها فتسألنى الآمرة هل ائتمرت، والزاجرة هل ازدجرت، فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع[٢]. رواه البيهقى والدارمى وابن عبد البر من عدة طرق عن أبى الدرداء.

وكان علىّ رضى الله عنه يقول:

يا حملة العلم: اعملوا به فإن العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم يقعدون حلقاً يباهى بعضهم بعضاً حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم تلك إلى الله عز وجل. ذكره الإمام الشاطبى فى الموافقات، المقدمة الثامنة هكذا بغير سند.

وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ١٢٩٥]، رواه أبو داود رقم (١٥٤٨) فى الصلاة، والنسائى (٨/٢٦٣) فى الاستعاذة.

(٢) لا يُسمع: أى لا يستجاب له.

وقال ابن السماك رحمه الله:
كم من مذكر بالله وهو ناس له.
وكم من مخوف بالله وهو جرئ على الله.
وكم من مقرب إلى الله وهو بعيد عن الله.
وكم من داع إلى الله وهو فار من الله.
وكم من تال لكتاب الله وهو منسلخ عن آيات الله.

فإن لم يعبِّد العلم صاحبه لله جل وعلا فلا قيمة له، وإن لم يقرب العلم صاحبه لله جلا وعلا فلا وزن له، وإن لم يورث العلم صاحبه الخشية من الله فلا خير فيه، فالعلم المعتبر شرعاً هو العلم الذى يدفع صاحبه للعمل بكل ما يقربه من الله عز وجل مؤتمراً بأمر الله، منهياً بنهى الله، واقفاً عند حدود الله.

ثالثاً - أنفع الطرق لتحصيل العلم:

يقول الإمام الشاطبى رحمه الله فى المقدمة الثانية عشرة من كتاب الموافقات:

من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به أخذه عن أهله المتحققين به.

وقد قالوا: « إن العلم كان فى صدور الرجال ثم انتقل إلى الكتب وصارت مفاتحه بأيدى الرجال» يقول الشاطبى وهذا الكلام يقضى بأنه لابد فى تحصيل العلم من الرجال (أى العلماء المتحققين به) فهم مفاتحه بلا شك.

ثم يقول رحمه الله: وإذا ثبت أنه لابد من أخذ العلم عن أهله المتحققين به فلذلك طريقان:

الأول: المشافهة وهى أنفع الطريقين.

وهى أن يجلس المتعلم بين يدى معلمه صادقًا مخلصاً مقبلاً على العلم وكم لهذه الجلسة بين يدى المعلم من بركات ورحمات.

فكم من مسألة يقرؤها المتعلم فى كتاب، ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة وحصل له العلم بها بحضرة معلمه.

يقول الشاطبى:

وهذا الفهم قد يحصل بأمر عادى من إيضاح موضع إشكال لم يخطر للمتعلم على بال وقد يحصل بأمر غير معتاد بأمر يهبه الله للمتعلم عند مثوله بين يدى المعلم ظاهر الفقر بادِىَ الحاجة إلى ما يلقى إليه، وهذا من فوائد مجالسة العلماء إذ يُفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يُفتح له دونهم.

والطريق الثانى: لتحصيل العلم وما زال الكلام لأبى إسحاق الشاطبى رحمه الله هو: مطالعة كتب المصنفين وهو نافع بشرطين :

الأول: أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب ومعرفة إصطلاحات أهله ما يتم له به النظر فى الكتب، وذلك يحصل له بالطريق الأول من المشافهة مع العلماء أو هو مما يرجع إليه.

الثانى: أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم فإنهم أقعد به من غيرهم بخلاف المتأخرين ولقد شهد الرسول لهم بالخيرية فقال ﷺ:

«خير الناس قرنى، ثم الذين يلُونَهُم، ثم الذين يلُونهم ثم يجىءُ قدمٌ تسبق شهادة أحدهم يمينَهُ، ويمينُه شهادَتَهُ»[١]. رواه البخارى ومسلم من حديث أبو هريرة رضى الله عنه.

فينبغى لمن أراد أن يحصِّل العلم الشرعى:

أن يذهب للعلماء..، وأن يجلس بين أيديهم..، وأن يصدق النية..، ويخلص العمل لله جلا وعلا..، ويتقى الله فى سره وعلنه..، وقوله..، وعمله..، وأن يحرص على الطاعات..، وأن يجتهد فى أن يبتعد عن المعاصى والمحرمات..، فإنها ظلمة تُطفأ نور العلم.

كما قال مالك للشافعى إنى أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية.

وقال الشافعى رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى   فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأوصانى بأن العلم نور   ونور الله لا يؤتاه عاصى

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الصادقين ونكمل بعد جلسة الاستراحة بإذن الله جل وعلا.

❊ ❊ ❊

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥/ ١٩٩، ٧/ ٦، ١١/ ٤٦٠)، مسلم رقم (٢٥٣٤) فى فضائل الصحابة.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

أيها الأحباب الكرام: وأخيراً خطورة التعالم ومظاهره.

حفظنا الله وإياكم منه، ومن الرياء، ورزقنا الله وإياكم الإخلاص، وجعلنا وإياكم من الصادقين.

أحبتى فى الله:

التعالم مرض خطير.. وداء عظيم.. وهو عتبة الدخول للفاجرة الجائرة ألا وهى «القول على الله بغير علم» نعوذ بالله من الخذلان والمتعالم هو الذى تزبب قبل أن يتحصرم، وأدعى العلم قبل أن يتعلم.

ومن أجمل ما قاله الغزالى: «لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف».

وما يراد بهم هنا إلا المتعالمون الذين ناموا عن العلم وادعوه، وبالغوا قبل أن يبلغوا، وهذا الصنف الذى يدعى العلم ويقول فى دين الله بغير علم، وبغير دليل، تستهويه الشهوة ويجره هذا الداء الخطير إلى كل شر وهلاك وضلال وإضلال، فلا يتورع أن يرد على أى سائل، وفى أى مسألة وأن يتعرض لكل فتوى.

وقديماً قالوا: إن رجلاً كان يفتى كل سائل دون توقف، فلحظ أقرانه ذلك منه، فأجمعوا أمرهم لامتحانه فاختلقوا كلمة ليس لها أصل ليبينوا

للناس كذبه وضلاله. فاختلقوا كلمة «الخنفشار» فذهبوا إليه وسألوه عنها.

فأجابهم على الفور قائلاً:

الخنفشار: نبت طيب الرائحة ينبت بأطراف اليمن إذا أكلته الأبل عقد لبنها كما قال شاعرهم اليمانى:

لقد عقدت محبتكم فؤادى كما عقد الحليبَ الخنفشارُ

ثم قال وقال داود الأنطاكى فى تذكرته الخنفشار كذا وكذا قال فلان وفلان. ثم يتبجح ويقول والخنفشار قال عنه النبى ﷺ فاستوقفوه، وقالوا كذبت على هؤلاء، فلا تكذب على رسول الله ﷺ، وتحقق لديهم أن ذلك المسكين جراب كذاب عياب، نسأل الله لنا ولكم السلامة.

وما زال الناس يُبتلون بهذا الطراز النكد من الخنفشاريين فى كل زمان ومكان.

ومن مظاهر هذا التعالم:

أولاً: التعالم فى الفتيا، والفتوى جمرة تضطرم.

ولكننا نرى بعض المنتسبين إلى العلم، يأنف من رد المستفتى والسائل بلا جواب ويتجرأ على القول على الله بلا علم، بل تراه وسبحان الفتاح العليم يشرع فى الجواب قبل أن ينتهى السائل من السؤال، ويفتى فيما يتوقف فيه شيوخ الإسلام والأئمة الأعلام.

بل ويفتى فى المسألة التى لو عُرِضَت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر.

فعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من

أصحاب رسول الله يُسئل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول. وفى رواية وما منهم من يحدث بحديث إلا وَدَّ أن أخاه كفاه إياه.

وقال الزهرى عن خالد بن أسلم قال: كنا مع ابن عمر رضى الله عنهما فسأله أعرابى أَتَرِثُ العَمَّة؟ فقـال ابن عمر لا أدرى، قال: أنت لا تدرى قال: نعم، إذهب إلى العلماء فاسألهم، فلما أدبر الرجل قَبَّل ابن عمر يده ثم قال نِعْمَ ما قال أبو عبد الرحمن سُئل عما لايدرى، فقال: لا أدرى.

وإذا ذكر العلماء فمالك النَّجمُ الثَّاقِب.

يقول فى حقه الشافعى: إنى شهدت مالكًا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسأله فقال فى اثنتين وثلاثين منها لا أدرى.

وهذا هو الشافعى الذى قال فى حقه الإمام أحمد: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعوا للشافعى رحمه الله تعالى.

حتى قال له ولده يوماً يا أبتى: أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟

فقال أحمد: يابنى إن الشافعى رحـمـه الله تعــالى كالشـمس للدنيا وكالعافية للناس.

وقال إسحاق بن راهوية:

لقينى أحمد بن حنبل بمكة المكرمة شرَّفها الله.

فقال أحمد: تعال أريك رجلاً لم تر عيناك مثله! فأرانى الشافعى.

قال إسـحاق: تناظرنا فى الحـديث فلم أر أعلم منه، ثم تناظرنا فى الفقه فلم أر أفقـه منه، ثم تناظرنا فى القرآن فلم أر أقرأ منه، ثم تناظرنا فى اللغة فوجدته بيت اللغة وما رأَتْ عيناىَ مثله قط.

وبالرغم من هذا كله سُئِلَ الشافعى عن مسـئلة فسكت فقيل له: ألا تجيب يرحمك الله فقال حتى أدرى الفضل فى سكوتى أم جوابى.

ومن أسوأ مظاهر التعالم:

العجبُ والكبرياء وسوء أدب الحديث والمجالسة واحتقار الناس وحفظ بعض المسائل ليتنمر بها فى المجالس والعياذ بالله.

وفى الحديث الذى رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبـان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم وصححه شيخنا الألبانى فى صحـيح الترغيب والتـرهيب من حديث أبى هريرة قـال رسول الله: **«من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليُصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة»**[1] يعنى ريحها.

وفى الحديث الذى رواه الترمذى وقال حديث غريب والحاكم والبيهقى وابن ماجه وصححه الألبانى.

حديث كعب بن مالك قال سمعت رسول الله يقول: «من طلب العلم ليجـارى به العلماء أو لِيُمـارىَ به السُّفَهَاءَ[*]، ويصرف به وجـوه الناس إليه، أدخله اللّه النار»[2].

نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) **صحيح**: [صحيح التـرغيب: ١٠٠]، رواه أبو داود رقم (٣٦٦٤) فى العلم، ورواه ابن ماجه رقم (٢٥٢) فى المقدمة.

(٢) **صحيح**: [صحيح الترغيب: ١٠١]، رواه الترمذى (٢٦٥٦) فى العلم.

(*) يمارى به السفهاء: يجادل به ضعفاء العقول.

وأخيراً ما هو العلاج :

أولاً: إخلاص العمل لله وصدق النية، والإخلاص هو تصفية العمل بخالص النية من جميع شوائب الشرك.

ثانيا: الاتباع .. ففيه الصواب.

ثالثا: طهارة القلب والنفس والجوارح من الذنوب فإن من آثار الذنوب والمعاصى حرمان العلم كما قال العلامة ابن القيم.

رابعاً: التواضع وعدم الكبر، والجلوس بين يدى العلماء.

خامساً: كثرة التضرع إلى الله عز وجل، والانكسار بين يديه، إذ الفضل منه سبحانه: **﴿بل اللَّه يَمُن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾**[1].

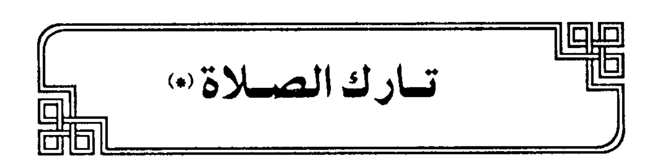
وأخيراً. علق قلبك بالله ولا تعلقه بالمخلوقين، فإنهم وإن اجتمعوا بالثناء عليك لن يقربوك من الله، إن كنت بعيداً عنه، ولو اجتمعوا على ذَمِّك فلن يبعدوك عن الله إن كنت قريباً منه، فاقطع الطمع فى الخلق وعلق قلبك بالخالق سبحانه فمن توكل عليه كفاه، ومن اعتصم به نجاه، ومن فوض إليه الأمر هداه **﴿أليس اللَّه بكاف عبده﴾**.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً يارب العالمين ..... الدعاء.

* * *

(١) سورة الحجرات: ١٧.

الخطبة الثالثة:



تارك الصلاة (*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد أم القرى - السويس.

(1) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

(2) سورة النساء: ١.

(3) سورة آل عمران: ١٠٢.

الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار[١].

أما بعد:

أحبتى فى الله..

انتهينا فى اللقاء الماضى من تفسير قول الحق تبارك وتعالى ﴿**أولئك الذين أنعَمَ اللَّه عليهم من النَّبِين من ذُرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خَرُّوا سُجَّداً وبُكياً**﴾[٢].

وبعد أن ذكر الله عز وجل حزب السعداء من الأنبياء ومن تبعهم من القائمين بحدود الله وأوامره المؤدين فرائض الله التاركين لزواجره.

ذكر أنه ﴿**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهواتِ فسوف يَلْقَون غَيّاً**﴾[٣].

مفارقة عجيبة بين هذين الفريقين.

فريق يخر لله ساجداً باكيا، إذا ما تليت عليه آيات الرحمن عز وجل.

وفريق أضاع الصلاة، وجرى وراء شيطانه وهواه فاتبع الشهوات وأضاع الصلوات.

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى هذه الآية ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة**﴾ أى أخروها عن وقتها.

---

(١) هذه خطبة الحاجة التى كان النبى ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللعلامة الألبانى رسالة نافعة فيها فراجعها.

(٢) سورة مريم : ٥٨.

(٣) سورة مريم : ٥٩.

وأخرج أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى فى الأوسط وابن مردوية والبيهقى في سننه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: **﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**[1] قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها» وقد ضعف البيهقى والحاكم رفعه وصححا وقفه.

الله اكبر:

هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها. فجزاؤهم **﴿فسوف يلقون غياً﴾**.

والغىُّ: كما أخرج البخارى فى تاريخة عن عائشة رضى الله عنها قالت: غىُ. نهر فى جهنم.

وأخرج إبن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه البيهقى عن ابن مسعود في قوله **﴿فسوف يلقون غيا﴾** قال:

الغىّ: نهر أو واد فى جهنم من قيح. بعيد القعر، خبيث الطعم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات.

وهذا أيضاً هو قول ابن عباس وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن المنذر والبيهقى فى شعب الإيمان عن عطاء فى قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر اللّه﴾**[2].

قال: أى الصلاة المفروضة فمن شغله ماله وتجارته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين.

---

(١) سورة الماعون: ٥.

(٢) سورة المنافقون: ٩.

لقوله تعالى بعدها ﴿ ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾.

أيها المسلمون . . . .

هذا جزاء من يصلى ولكنه يؤخر الصلاة عن أوقاتها بغير عذر فما ظنكم بمن ترك الصلاة.. ماظنكم بمن ضيع الصلاة من الرجال والنساء.

فأعيرونى القلوب والأسماع، لنتعلم اليوم حكم تارك الصلاة.

هذا الحكم الذى تنخلع له القلوب. ولكن. . .

هيهات. . هيهات فقد ماتت القلوب إلا من رحم علام الغيوب.

قال الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار: «لا خلاف بين المسلمين فى كفر من ترك الصلاة مُنكراً لوجوبها» أى من ترك الصلاة جاحداً بها منكراً لها فقد كفر كفراً يُخرج عن ملة الإسلام بإجماع المسلمين.

ثم قال الشوكانى رحمه الله: « وإن كان تركه للصلاة تكاسلاً مع إعتقاده بوجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فى ذلك فمنهم من قال إنه لا يكفر بل هو فاسق فإن تاب وإلا قتل حداً بالسيف (وهذا قول مالك والشافعى).

وذهب الآخرون من العلماء إلى أن تركها تكاسلاً أو تشاغلاً عنهامن غير عذر شرعى فهو كافر أيضاً، وقد صرحت الأحاديث بكفره ووجوب قتله.

وسأكتفى بذكر حديثين اثنين من الأحاديث التى حكمت بوجوب قتل تارك الصلاة.

الأول : رواه البخارى ومسلم من حديث عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول**

الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»[١] .

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أنه أمر بقتالهم إلى أن يقيموا الصلاة وأن دماءهم وأموالهم إنما تحرم بعد الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة .

الحديث الثانى من الأحاديث التى حكمت بوجوب قتل تارك الصلاة .

رواه البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بعث على بن أبى طالب وهو باليمن إلى النبى بذهبيه (أى بقطعة من الذهب) فقسمها النبى بين أربعة فقال رجل يا رسول الله. اتق الله فقال: **ويلك أو لستُ أحقَّ أهل الأرض أن يتقى الله** ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد : يا رسول الله ألا اضربُ عنقه فقال: **لا ؟ لعله أن يكون يصلى** فقال خالد: وكم من رجل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه، فقال رسول الله ﷺ : «**إنى لم أومر أن أنقبَ عن قلوب الناس ولا أشق بطونَهم** ».

ويعلق الإمام ابن القيم رحمه الله على هذا الحديث بقوله : إن المانع الذى منع النبَى من قتل هذا الرجل كونه يصلى، فدل على أن من لم يُصَلِّ يقتل، إن أصر على تلك المعصية الكبيرة .

أما من قال بتكفير تارك الصلاة فهم كثرة.

قال الإمام ابن حزم رحمه الله : قد جاء عن عمَر وعبد الرحمن بنِ عوف ومعاذ بن جبل وأبى هريرة وابن مسعود وابن عباس وغيرهم من

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج:١٣٧١] رواه البخارى (١/ ٧٠، ٧١) فى الإيمان، ومسلم رقم(٢٢) فى الإيمان أيضاً.

الصحابة «أن من ترك صلاة واحدة متعمداً حتى يخرجَ وقتُها فهو كافر مرتد» ثم قال ابنُ حزم ولانعلم لهؤلاء الصحابة مخالفاً .

* والأدلة على كفر تاركِ الصلاة من القرآن والسنة كثيرة . . ذكرها بالتفصيل الإمام ابنُ القيم رحمه الله فى كتابه القيم «كتابِ الصلاةِ وحكمِ تاركِها» .

أدلة القرآن:

الدليل الأول: قولُ الله جل وعلا فى سورة القلم:

﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون**﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **يومَ يُكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذِلَّة وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون**﴾[1] .

ووجه الدلالة من هذه الآيات أنه سبحانه وتعالى أخبر أنه لا يجعل المسلمين كالمجرمين، وأن هذا الأمر لا يليق بحكمته ولا بُحكمه وعدله ثم ذكر أحوال المجرمين الذين هم على النقيض من المسلمين بنص الآية .

ذكر من حالهم يومَ القيامة أن الله عز وجل حينما يكشف عن ساق يخر المسلمون الصادقون سُجَّداً لله رب العالمين دليلاً صادقاً على إسلامهم وبرهاناً ساطعاً على إيمانهم بربهم جل وعلا .

ويأتى الكفار والمنافقون ليسجدوا مع المسلمين فيحال بينهم وبين السجود رغماً عن أنوفهم فتبقى ظهورهم قائمة كميامن البقر ولو كانوا من المسلمين َلأُذِنَ لهم بالسجود كما أُذِنَ للمسلمين .

---

(١) سورة القلم : ٤٣ .

فالمسلم هو الذى يسجد وغير المسلم هو الذى لا يستطيع أن يسجد ومنهم بنص الآية من ضيع الصلاة فى الدنيا كما قال سبحانه: ﴿**وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**﴾.

الدليل الثانى: قول الله تعالى فى سورة المدثر:

﴿**كلُ نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين* فى جنات يتساءَلون * ما سلككم فى سقر* قالوا لم نَكُ من المصلين * ولم نَكُ نطعِمُ المسكين* وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين* حتى أتانا اليقين* فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾[١].

ووجه الدلالة من الآيات.

أن الله تعالى جعل المجرمين ضد المسلمين . وتاركُ الصلاة بنص الآية من المجرمين السالكين فى سقر.

الدليل الثالث: قوله تعالى فى سورة التوبة:

﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتَواُ الزكاةَ فإخوانكُمُ فى الدين**﴾[٢].

ووجه الدلالة أن الله تعالى علق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة فلا يكونون مؤمنين لقوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾[٣].

وسأكتفى بهذه الأدلة من القرآن الكريم لاختصار الوقت ومن أراد أن يرجع إليها بالتفصيل فليرجع إلى كتاب الصلاة لابن القيم رحمه الله .

---

(١) سورة المدثر: ٣٨-٤٨.

(٢) سورة التوبة: ١١.

(٣) سورة الحجرات: ١٠.

أما الأدلة من السنة الصحيحة على كفر تارك الصلاة فهى كثيرة ووفيرة .

* الدليل الأول :

الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه وأهل السنن وصححه الترمذى عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر تركُ الصلاة**»[١] .

* الدليل الثانى :

الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم من حديث يزيد ابن الحبيب الأسلمى قال :

سمعت رسول الله يقول: «**العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٢] .

* الدليل الثالث :

الحديث الذى رواه الطبرى وقال حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم من حديث ثْوبان مَوْلى رسول الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بين العبد وبين الكفر والإيمان. الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك**»[١] رواه الطبرى وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

---

(١) **صحيح**: [ص.ج:٢٨٤٨] رواه مسلم رقم (٨٢) فى الإيمان واللفظ له وأبو داود (٤٦٧٨) فى السنة والترمذى (٢٦٢٢) فى الإيمان.

(٢) **صحيح**: [ص.ج:٤١٤٣] رواه الترمذى(٢٦٢٣) فى الإيمان، والنسائى (١/ ٢٣١, ٢٣٢) فى الصلاة وأحمد فى المسند (٥/٣٤٦)، ورواه ابن حبان والحاكم وصححه،ووافقه الذهبى.

* الدليل الرابع :

الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وأبوحاتم وابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : **«من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة . ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة .. و كان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف»**(١) .

وذكر الإمام ابن القيم لطيفه بديعة من لطائف العلم فى هذا الحديث .

وهى أن تارك الصلاة إما أن يشغله ماله أو ملكه أو وزارته أو رياسته أو تجارته .

فمن شغله ماله عن الصلاة فضيعها فهو مع قارون .

ومن شغله ملكه عن الصلاة فضيعها فهو مع فرعون .

ومن شغلته وزارته عن الصلاة فضيعها فهو مع هامان .

ومن شغلته تجارته عن الصلاة فضيعها فهو مع أُبى بن خلف ، وهم جميعاً فى الدرك الأسفل من النار . . عياذاً بالله .

* الدليل الخامس :

ما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث مُعَاذ بن جبل أن رسول الله قال : **«من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمه الله»**(٢) .

يقول ابن القيم : ولو كان باقياً على إسلامه لكانت له ذمة الإسلام .

---

(١) [المشكاة : ٥٧٨] رواه أحمد فى المسند (٢/ ١٦٩) والدارمى (٢/ ٣٠١) وسكت عنه الألبانى فى تخريجه لمشكاة المصابيح .

(٢) **صحيح** : [صحيح الترغيب : ٥٧٢] رواه أحمد (٦/ ٤٢١) والبيهقى .

* الدليل السادس:

أن تركها بالكلية يحبطُ جميعَ الأعمال. وقبولُ جميع الأعمال موقوف على الصلاة.

فلا يقبل الله تعالى من تارك الصلاة صوماً ولا حجاً ولا صدقة ولا جهاداً ولا شيئاً من الأعمال. لأن العبد يُسأل أولَ ما يُسأل عن الصلاة.

كما فى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وأصحاب السنن ورواه الطبرانى بإسناد جيد من حديث أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ:

«أولُ ما يحاسبُ به العبدُ يومَ القيامة الصلاة فإن صَلَحتْ فقد صلَحَ له سائر عمله. وإن فسدت فسد سائر عَمله»(1).

ووجه الدلالة أن تارك الصلاة لو قُبل منه شىء من أعمال البر والخير لم يكن من الخائبين الخاسرين.

واكتفى بهذا القدر من الأحاديث المباركة التى وردت لتبين كفرَ تاركِ الصلاة.

وهذا كلامُ صاحب الشَرع ﷺ الذى لا ينطقُ عن الهوى .

ولا كلامَ لأحد أيا كان. بعد كلام رسول الله فمن عدم الحياء أن تقول: هذا قَولُ رسولِ الله، ويرد عليك ويقال: وهذا قولُ شيخنا الفلانى.

أعوذ بالله . . إن قلتَ قال الله قال رسوله . . همزوك همز المنكر المتغالى نعوذ بالله من الخذلان وأقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم.

* * *

(1) صحيح: [ص.ج: ٢٥٧٣] رواه الترمذى برقم(٤١٣) فى الصلاة، والنسائى (١/ ٢٣٢) فى الصلاة، وأحمد (٥/ ٧٢، ٣٧٧)، والحاكم (١/ ٢٦٣)

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

أيها الحبيب الكريم:

وبعد أن بينا حكمَ تاركِ الصلاة تعالوا بنا لنبين فى عجالةٍ سريعةٍ حكمَ صلاة الجماعة لِنُذَكِّر هواة الصلاة فى البيوت ونقول لهم اتقوا الله فأنتم على خطر عظيم.

فكثير من العلماء يقولون بوجوب صلاة الجماعة والحق والدليل معهم. وإليك بعض الأدلة.

* الدليل الأول : على وجوب صلاة الجماعة:

قول الله تعالى :

﴿وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأركعوا مع الراكعين﴾(1).

وهذه الآية الكريمة نصٌ فى وجوب صلاة الجماعة، لأنه لو كان المقصود فى هذه الآية هو إقامة الصلاة فقط، ما قال الله فى آخر الآية **﴿واركعوا مع الراكعين﴾** بعد أن قال فى أول الآية و**﴿أقيموا الصلاة﴾**.

* الدليل الثانى :

أنه حتى فى ساحة القتال وحومة الوَغَى ومواجهة الأعداء وتحت فتنهِ بارقة السيوف أوجب الله على المسلمين صلاة الجماعة.

---

(1) سورة البقرة: ٤٣.

ولو كان الأمر يسيراً لسمح لهؤلاء فى أرض المعركة أن يصلوا منفردين.

يقول الله تعالى :

﴿فإذا كنت فيهم فأقمتَ لهم الصلاة فلتقُم طائفةٌ منهم مَّعَكَ وليأخُذُوا أسلحَتَهُم فإذا سَجَدُوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفةٌ أخرى لم يُصَلُّوا فليَصلُّوا مَعَكَ وليأخُذُوا حِذرهم وأسلحَتَهم﴾(١).

※ الدليل الثالث : ما رواه الإمام مسلم عن ابى هريرة قال: أتى النبىَّ رجلٌ أعمَى فقال يارسول الله: إنه ليس لى قائد يقودُنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يُرَخِّصَ له؟ (أى يصلى فى البيت) فرخَّص له، فلما ولىَّ دعاه. فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم قال: «**فاجب**»(٢).

※ الدليل الرابع :

الحديث الذى راوه البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله «**أثقلُ الصلاةُ على المنافقين صلاةُ العشاء، وصلاةُ الفجر، ولو يعلمون مافيها لأتوهُما ولَوْ حَبْواً ولقد هممت أن آمَر بالصلاة فتقام، ثم آمرَ رجلاً فيصلّىَ بالناس، ثم انطلقَ معى برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لايشهدون الصلاة فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنار**»(٣).

---

(١) سورة النساء : ١٠٢.

(٢) **صحيح**: [صحيح الترغيب: ٤٢٨]، رواه مسلم (٦٥٣) فى المساجد، والنسائى (٢/ ١٠٩) فى الإمامة.

(٣) **متفق عليه**: [ص.ج:١٣٣]، رواه البخارى(٢/ ١٠٤-١٠٨) فى صلاة الجماعة، ومسلم رقم (٦٥١) فى المساجد والموطأ (١/ ١٢٩، ١٣٠) فى صلاة الجماعة، وأبو داود رقم (٥٤٨، ٥٤٩) فى الصلاة والترمذى رقم(٢١٧) فى الصلاة والنسائى (٢/ ١٠٧) فى الإمامة.

* الدليل الخامس :

ما رواه الإمام مسلم وأصحاب السنن عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «من سَرَّهُ أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادىَ بِهِنَّ، فإنهن من سنن الهدى وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنكم لو صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم.

وما من رجل يتطهرُ فيحسنُ الطُّهُورَ ثم يعمدُ إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكلِّ خَطْوَةٍ يخطوها حسنة ويرفعُهُ بها درجة ويُحط عنه بها سيئةً.

ولقد رأيتُنا وما يتخلفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاق ولقد كان الرجلُ يؤتى به يُهادى بين الرجلَيْن (أى يتساند على رجلين) حتى يقامَ فى الصف»[1].

وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم مع حديث ابن عمر أنه ﷺ قال: **«صلاةُ الجماعة أفضلُ من صلاة الفَذِّ بسبعٍ وعشرين درجة»**[2].

---

(١) **صحيح**: [ص.س:٨١٩] رواه مسلم رقم (٦٥٤) فى المساجد، وأبو داود رقم (٥٥٠) فى الصلاة، والنسائى (٢/١٠٨، ١٠٩) فى الإمامة.

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ٣٨٢٠]، رواه البخارى (٢/١٠٩، ١١٠) فى الجماعة، ومسلم رقم (٦٥٠) فى المساجد، والموطأ (١/١٢٩) فى الجماعة، والترمذى رقم (٢١٥) فى الصلاة، والنسائى (٢/١٠٣) فى الإمامة.

« فضل الصلاة »

بقى أن نشير أيها الأحباب إلى فضل الصلاة وسأكتفى بحديثين لرسول الله ﷺ .

الحديث الأول :

رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن.

عن أبى هريره قال : سمعت رسول الله يقول: **أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسلُ فيه كلَ يوم خمسَ مرات هل يبقى من دَرَنه شئ (أى من الوسخ شئ) قالوا لا يبقى من دَرَنه شئ قال: فكذلك مَثَلُ الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»**[1].

الحديث الثانى :

رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط بإسناد حسن ورواته مُحْتجٌ بهم فى الصحيح .

عن عبد الله بن مسعود : قال: قال رسول الله ﷺ: **تحترقون، تحترقون، فإذا صليت الصبحَ غَسَلَتْهَا، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون، فلا يُكتبُ عليكم حتى تستيقظوا »**.

أيها المسلمون فى كل مكان .

أيها الأخ الكريم .

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢/ ٩) فى مواقيت الصلاة، ومسلم رقم (٦٦٧) فى المساجد، والترمذى رقم(٢٨٧٢) فى الأمثال، والنسائى (٢٣١/ ١) فى الصلاة.

أيتها الأخت الكريمة .

الله الله فى الصلاة

الله الله فى الصلاة

الله الله فى الصلاة

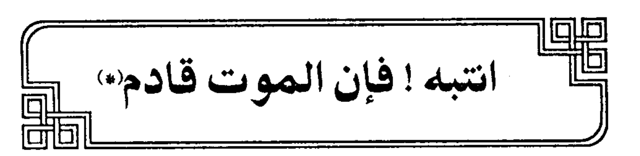
فهذا هو فضلها وذاك هو خطرها .

أسأل الله تعالى أن يعيننا وإياكم على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، اللهم ارزقنا قبل الموت توبة وعند الموت شهادة وبعد الموت جنة ورضواناً برحمتك يا أرحم الراحمين. . . . الدعاء.

* * *



الخطبة الرابعة :



انتبه ! فإن الموت قادم(*)

الحمد لله الذى أذل بالموت رقاب الجبابرة.. الحمد لله الذى أنهى بالموت آمال القياصرة فنقلهم بالموت من القصور إلى القبور.. ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود.. ومن ملاعبة الجوارى والنساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان.. ومن التنعم فى الطعام والشراب إلى التمرغ فى الوحل والتراب.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له.

ينادى يوم القيامة بعد فناء خلقه ويقول: أنا الملك.. أنا الجبار.. أنا المتكبر.. أنا العزيز.. ثم يقول جل وعلا: لمن الملك اليوم؟ ويجيب على ذاته سبحانه، ويقول: لله الواحد القهار.

سبحانه.. سبحانه.. سبحانه.. سبحان ذى العزة والجبروت.. سبحان ذى الملك والملكوت.. سبحان من كتب الفناء على جميع خلقه وهو الحى الباقى الذى لا يموت..

وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله.. وصفيه من خلقه وخليله شرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وفضله على جميع خلقه وذكاه فى كل شىء، وبعد كل هذا خاطبه بقوله: إنك ميت وأنهم ميتون. فاللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه

(*) القيت هذه المحاضرة بقاعة المؤتمرات بودابست بالمجر.

وأحبابه وأتباعه وعلى كل من اهتدى بهديه واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد..

فحياكم الله جميعاً أيها الأحباب وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم جميعاً منزلاً من الجنة، واسأل الله جل وعلا أن ينضر وجوهكم، وأن يزكى نفوسكم وأن يشرح صدوركم وأن يتقبل منى وإياكم صالح الأعمال، وأن يجمعنى وإياكم فى الدنيا دائماً وأبدا على طاعته وفى الآخرة مع سيد الدعاة وإمام النبيين، فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك ومولاه وهو على كل شيء قدير.

أحبتى فى الله:

إننا اليوم على موعد مع هذا الموضوع الذى أتألم كثيراً لأن دعاتنا وشيوخنا لا يذكرون الناس به إلا فى المناسبات فقط مع أننا فى أمس الحاجة إلى أن نذكره وأن نتذكره دائماً وأبداً.. امتثالاً عملياً لأمر حبيبنا ورسولنا المصطفى ﷺ: كما فى الحديث الذى رواه بعض أصحاب السنن من حديث ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهم أنه ﷺ قال: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات.. قيل وما هاذم اللذات يا رسول الله قال: الموت»[1].

فانتبه أيها المسلم.. فإن الموت قادم.. فإننا نعيش عصراً طغت فيه الماديات والشهوات وانشغل فيه كثيرٌ من الناس عن لقاء رب الأرض والسموات.. إنك لابد أن تستقر هذه الحقيقة الكبرى فى قلبك وعقلك

(١) **صحيح**: [ص.ج: ١٢١٠، ١٢١١، الإرواء: ٦٨٢]، نس (١/ ٢٥٨)، ت (٢/ ٥٠)، جه (٢/ ٤٢٥٨)، حب (٢٥٥٩-٢٥٦٢)، كم (٤/ ٣٢١) وغيرهم. وهاذم اللذات: أى قاطعها.

ووجدانك.. إن الحياة فى هذه الأرض موقوته محدودة بأجل، ثم تأتى نهايتها حتماً فيموت الصالحون.. ويموت الطالحون، يموت المجاهدون، ويموت القاعدون، يموت المستعلون بالعقيدة، ويموت المستذلون للعبيد، يموت المخلصون الصادقون الذين يأبون الضيم، ويكرهون الذل، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأى ثمن.. يموت أصحاب الاهتمامات الكبيرة والأهداف الغالية.. ويموت الفارغون التافهون الذين لا يعيشون فقط إلا من أجل المتاع الرخيص.. الكل يموت ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾(١).

ولذا سميت هذه الحقيقة فى القرآن بالحق فقال جل وعلا: ﴿**وجاءت سكرت الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد * لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرُكَ اليومَ حديد**﴾(٢).

وجاءت سكرة الموت بالحق والحق أنك تموت.. والله حى لا يموت

وجاءت سكرة الموت بالحق والحق أن ترى عند موتك ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب

وجاءت سكرة الموت بالحق والحق أن يكون قبرك روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران

ذلك ما كنت منه تحيد.. ذلك ما كنت منه تهرب.. ذلك ما كنت منه تجرى.. ذلك ما كنت منه تخاف..

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) سورة ق: ١٩-٢١.

تحيد إلى الطبيب إذا جاءك المرض.. خوفاً من الموت..

وتحيد إلى الطعام إذا أحسست بالجوع.. هرباً من الموت..

وتحيد إلى الشراب إذا أحسست بالظمأ.. رعباً من الموت..

ولكن.. ثم ماذا؟

أيها القوى الفتى.. يا أيها الزكى.. يا أيها العبقرى.. يا أيها الكبير.. يا أيها الوزير.. يا أيها الأمير.. يا أيها الصغير..

كل باكٍ فسيبكَى وكل ناع فسينعى

وكل مذخور سيفنى وكل مذكور سينسى

ليس غير الله يبقى من علا فالله أعلى

* * *

أيا من يدَّعى الفهم إلى كم يا أخى الوهم

تتبع الذنب بالذنب وتخطى الخطأ الجم

أما بان لك العيب أما أنذرك الشيب

وما فى نصحه ريب أما نادى بك الموت

أما أسمعك الصوت أما تخشى من الفوت

فتحطات وتهتم فكم تسير فى السهو

وتختالُ من الزهو وتنفضُ إلى اللهو

كأن الموتُ ما عم! كأنى بكَ تنحط

إلى اللحد وتنغط وقد أسلمك الرهط

إلى أضيقِ من سَمْ

هناك الجسمُ ممدود ليستأكله الدود

إلى أن ينخـــر العـــود ويمســـى العَظـــمَ قَدْ رَم
فـــذود نفـــسك الخـــير ودع ما يـــعقب الضـــير
وهييء مـــركب السيـــر وخف من لجــــةِ اليم
بذا أوصـــيك يا صـــاح وقـــد بحـــتك من باح
فطـــوبى لفـــــتى راح بـــآداب مـــحمـــدٍ يأتـــم

وصدق الله جل وعلا إذ يقول:

﴿كلا إذا بلغت التراقى * وقيل من راق * وظنَّ أنه الفِرَاقُ * والتَفَّتِ الساقُ بالساقِ * إلى ربكَ يومئذ المَسَاق﴾[1].

كلا إذا بلغت التراقى.. إذاً بلغت الروح الحلقوم..

وقيل من راق: من الذى يرقيه؟ من الـذى يبذل له الرقية؟ من الذى يقدم له العلاج؟ من الذى يحول بينه وبين الموت؟

انظر إليـه!! وهو من هـو؟ صاحـب السلطان! صـاحـب الأمـوال! صاحب السيارات.. صاحب العمارات.. صاحب الوزارات..

انظر إليه وهـو على فراش الموت.. التف الأطبـاء من حوله.. ذاك يبذل له الرقية.. وذاك يقدم له العلاج.. يريدون شيئاً، وملك الملوك قد أراد شيئاً آخر..

انظر إليه أيها الحـبيب اصفر وجهـه، وشحب لونه، وبردت أطرافه، وتجعد جلده، وبدأ يحس بزمهرير قارس، يزحف إلى أنامل يديه وقدميه. يحاول جاهدًا أن يحرك شفتيه بكلمة التوحيد، فيحس أن الشفة كالجبل، لا يريد أن يتزحزح إلا لمن يسر الله له النطق بـ لا إله إلا الله.

---

(١) سورة القيامة: ٢٦-٣٠.

إلا لمن عاش على الإيمان، ومات على الإيمان كما قال ربنا جل وعلا:

﴿إن الذين قالوا ربُّنا اللَّه ثم استقاموا تَتَنَزَّلُ عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكُم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم﴾[1].

وينظر إلى أهله.. إلى أحبابه.. فيراهم مرةً يبتعدون ومرة يقتربون ويرى الغرفة التى هو فيها مرة تضيق عليه فتصير كخرم إبرة ومرة يراها كالفضاء الموحش..

فإذا وعى ما حوله.. فى الصحوات.. بين السكرات والكربات.. نظر إليهم نظرة استعطاف.. نظرة رجاء.. نظرة أمل.. نظرة تَمَنٍّ وقال لهم بلسان الحال بل وبلسان المقال:

يا أحبابى.. يا أولادى.. يا أبنائى.. لا تتركونى وحدى ولا تفردونى فى لحدى.. أنا أبوكم.. أنا حبيبكم.. أنا الذى بنيت لكم القصور.. أنا الذى عمرت لكم الدور.. أنا الذى نميت التجارة.. أنا صاحب الجاه.. أنا صاحب الوزارة.. أنا صاحب السلطان.. أنا صاحب الأموال.. أنا صاحب الكرسى.. أنا.. من أنا.. لا تتركونى وحدى.. ولا تفردونى فى لحدى!!

فافدونى بأعماركم.. من منكم يزيد فى عمرى ساعة أو ساعتين؟!

وهنا يعلو صوت الحق كما قال الله جل وعلا:

﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه

---

(١) سورة فصلت: ٣٠-٣٢.

منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كانت من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزلٌ من حميم * وتصلية جحيم * إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم﴾[1].

سبحانك يا من ذللت بالموت رقاب الجبابرة.

سبحانك يا من أنهيت بالموت آمال القياصرة.

سبحانك يا من نقلتهم بالموت من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجوارى والنساء والغلمان إلى مقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم فى ألوان الطعام والشراب إلى التمرغ فى الوحل والتراب!!

وقيل من راق: أى من الذى يرقَى بروحه إلى الملك جل وعلا.

أى من الذى يرتقى بهذه الروح من الملائكة.

وظن أن الفراق.. والتفت الساق بالساق.

أهذا هو الذى سيخرج به؟

هذه الأكفان.. هذا القماش.. أين ماله؟ أين جاهه؟ أين كرسيه؟ أين سلطانه؟ أين دولاراته؟ أين أولاده؟ أين جنده؟ أين طائراته؟ أين دباباته؟ أين وزاراته؟ أين الجاه؟

أهذا هو الذى سيخرج به؟

---

(١) سورة الواقعة: ٨٣-٩٦.

النفس تجـــزعُ أن تكون فـقــيـرة والفـقــر خيــرٌ من غنىً يـطغيــهـا
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجـميع مـا فى الأرض لا يكفيـها
هى القناعــة فـالزمــهـا تكن ملكاً لو لم تكن لـك إلا راحـة البـدن
وانظر لمن مُلك الدنيـا بأجـمـعهـا هل راح منها بغـير الطيب والكفن

يتبع الميت ثلاث:

مـاله وأهله وعمله فـيرجع اثـنان ويبقى واحـد يرجع الأهل ويرجع المال. . يقسم المال على الورثة ولا يبقى لك إلا عملك.

يا من شغلك مالك عن حقوق الله جل وعلا.

يا من شغلك مالك عن السجود لله جل وعلا.

يا من سمعت المؤذنُ يقول لك حى على الصلاة فى بيتك وفى تجارتك وفى حقلك وفى وزارتك وفى مكتبك ما تحـرك فيك ساكن وما قمت لله جل وعلا تضع الأنف والجبين فى التراب ذلاً لخالقك.

تذكر. . يقال لك بلسان الحال:

رجعوا وتركـوك. . وفى التراب دفنوك. . وللحسـاب عرضوك ولو ظلّوا معك ما نفعوك. . ولم يبق لك إلا عملك مع رحمة الحى الذى لا يموت. .

انتهى كل شىء. . أين فلان؟ مات.

فكم من ليلة يفرح الناس بها. . يسـهرون ويمرحون ويضحكون وفى الصباح الباكر يبكون ﴿**وأن إلى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا**﴾[1].

---

(١) سورة النجم: ٤٣، ٤٤

يا نفس قد أزف الرحيل وأظلك الخطب الجليل
فتأهبي يا نفس لا يلعب بك الأمل الطويلُ
فلتنزلن بمنزل ينسى الخليل به الخليل
وليركبن عليك فيه من الثرى ثقلٌ ثقيلُ
قُرِنَ الفناء بنا جميعاً فلا يبقى العزيز ولا الذليل.

نام هارون الرشيد على فراش الموت فقال لإخوانه من حوله: أريد أن أرى قبرى الذى أدفن فيه؟

فحملوا هارون الرشيد إلى قبره.. فنظر هارون إلى القبر وبكى، ثم التفت إلى الناس من حوله وقال: **﴿ما أغنى عنى ماليه * هلك عنى سلطانيه﴾**.

ثم رفع رأسه إلى السماء وبكى وقال:

يا من لا يزول ملكُه ارحم من قد زال ملكُه

ولقى الفضيل بن عياض رجلاً فقال له الفضيل كم عمرك:

قال الرجل: ستون سنة.

قال الفضيل: إذن أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله، يوشك أن تصل.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال الفضيل: يا أخى هل عرفت معناها؟

قال الرجل: نعم عرفت أنى لله عبدٌ وأنى إليه راجع.

فقال الفضيل: يا أخى إن من عرف أنه لله عبد، وأنه إليه راجع عرف أنه موقوف بين يديه، ومن عرف أنه موقوفٌ عرف أنه مسئول، ومن عرف أنه مسئول، فليعد للسؤال جواباً.

فبكى الرجل فقال يا فضيل: وما الحيلة؟

قال الفضيل: يسيره.

قال الرجل: وما هى يرحمك الله؟

قال الفضيل: أن تتقى الله فيما بقى، يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقى.

سفرى بعيد وزادى لن يبلغنى ... وقوتى ضعفت والموت يطلبنى

ولى بقايا ذنوب لست أعلمها ... الله يعلمها فى السر والعلنِ

وأنا الذى أغلق الأبوابَ مجتهداً ... على المعاصى وعَينُ الله تنظُرُنى

ما أحلمَ الله عنى حيث أمهلنى ... وقد تماديت فى ذنبى ويسترُنى

كأننى بين تلكَ الأهلِ مُنطرحًا ... على الفراشِ وأيديهم تقلبنى

وقد أتوا بطبيب كى يعالجنى ... ولم أر الطبيبَ اليوم ينفعنى

واشتد نزعى وصار الموتُ يجذبها ... من كل عِرْقٍ بلا رفقٍ ولا هَونِ

كأننى وحولى مَنْ ينوح ومَنْ ... يبكى علىّ وينعانى ويندُبنى

وقام من كان أحبَ الناسِ فى عجلٍ ... نحو المُغَسِّل يأتينى يُغسلنى

فجاءنى رجلٌ منهم فجردنى ... من الثياب وأعرانى وأفردني

وأودعونى على الألواح منطرحًا ... وصار فوقى خريرُ الماءِ ينظفُنى

وأسكب الماء من فوقى وغسَّلى ... غسلاً ثلاثاً ونادى القومَ بالكفنِ

وحَمَّلُونى على الأكتاف أربعةٌ ... من الرجالِ وخلفى من يشيعنى

وأخروجى من الدنيا فوا أسفا ... على رحيلٍ بلا زاد يبلغنى

وقدمونى إلى المحراب وانصرفوا ... خلف الإمام فصلى ثم ودعنى

صلوا علىّ صلاةً لا ركوع لها ... ولا سجود لعل الله يرحمنى

وانزلونى إلى قبرى على مهلٍ وقدموا واحداً منهم يُلَحِّدُنى
وكَشَفَ الثوبَ عن وجهى لينظُرنى واسبل الدمع من عينيه أغرقنى
وقال هلّو عليه التراب واغتنموا حسنَ الثواب من الرحمنِ ذى المنن
يا نفس كفى عن العصيان واكتسبى فعلاً جميلاً لعل الله يرحمنى
يا نفس ويحك توبى واعملى حسناً عسى تجزين بعد الموت بالحسن
وامنن عليك بعفوٍ منك يا أملى فإنك أنت الرحمن ذو المنن

هذه حياتك يا ابن آدم.. هذه قصتك.. من أنت؟

يا ابن التراب! ومأكول التراب غداً! أقصر.. فإنك مأكول ومشروب علامَ الكبر؟ وعلام الغرور؟

أنسيت أصلك؟ أنسيت ضعفك؟ أنسيت فقرك؟ أنسيت عجزك؟ أنسيت أنك من التراب خلقت؟ وإلى التراب تصير؟

فلِمَ تحارب دين الله؟ ولِمَ تحارب سنة الحبيب رسول الله؟ ولِمَ تصد عن سبيل الله؟

تذكر.. تذكر أن الكرسى لو دام لغيرك ورب الكعبة ما وصل إليك!

إن الدنيا مهما طالت فهى قصيرة.. ومهما عظمت فهى حقيرة لأن الليل مهما طال لابد من طلوع الفجر.. وأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر.

وانتبه واعلم بأن الدنيا دار ممر.. وبأن الآخرة هى دار مقر.

فخذوا من ممركم لمقركم.. ولا تفضحوا أستاركم عند من يعلم أسراركم قال لقمان لولده:

أى بنى إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا، استدبرت الدنيا واستقبلت

الآخرة.. فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها..، كم ستعيش؟ أيها المسئول! يا من حملك الله الأمانة. أمانة الحكم.. أمانة الإعلام.. أمانة الوزارة.. أمانة التربية.. أمانة التوجيه.. أمانة الأبوة.

أيها المسلم.. أيتها المسلمة..

فلنتذكر جميعاً هذه الحقيقة إن الموت قادم.

إنها الحقيقة الكبرى التى تعلن على مدى الزمان والمكان فى إذن كل سامع، وعقل كل مفكر، أنه لا بقاء إلا للحى الذى لا يموت.

إنها الحقيقة التى يسقط عندها جبروت المتكبرين.

إنها الحقيقة التى يسقط عندها عناد الملحدين.

إنها الحقيقة التى يسقط عندها طغيان البغاة المتألهين.

﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

انتبه فإن الموت قادم.

حقيقة لابد أن تستقر فى النفس.

إذا تذكرها المسئول اتقى الله فى رعيته.

إذا تذكرها الأب اتقى الله فى أولاده وزوجته.

إذا تذكرتها الأم اتقت الله فى زوجها وأولادها.

إذا تذكرها كل مسلم عرف أن الموت قادم.. وأنه فى الغد القريب سيترك ماله.. سيترك كرسيه.. سيترك جاهه.. سيترك منصبه. ليرى نفسه واقفاً بين ملك الملوك وجبار السموات والأرض ليكلم ربه.. نعم سيكلمك الحق جل وعلا.. سيكلمك الملك ليس بينك وبينه ترجمان كما فى الصحيحين من حديث عدىّ بن حاتم رضى الله عنه أنه ﷺ قال:

«ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قَدَّم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

انتبه يا مسكين!!

إنك لو وقفت بين يدى قاض من قضاة الدنيا ربما ارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك، واصفر لونك، وشحب وجهك..

فهل فكرت فى موقف ستعرض فيه بين يدى الملك جل وعلا.

تذكر وقوفك يوم العرض عُرياناً ... متوحشاً قَلِقَ الأحشاء حَيرانا
والنارُ تَلهبُ من غيظٍ ومن حنقٍ ... على العصاة.. وربُّ العرشِ غَضبانا
اقرأ كتابَكَ يا عبدُ على مهلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا؟
فلَّما قرأتَ ولم تنكر قراءَتَهُ ... وأقررت إقرارَ مَنْ عرف الأشياءَ عِرفانا
نَادى الجَليلُ.. خُذُوهُ يا ملائكتى ... وأمضوا بعبدٍ عصى للنار عَطشانا
المشركون غداً فى النارِ يَلتهبوا ... والمُوَحِّدُون بِدارِ الخُلد سُكانا

انتبه أيها الحبيب:

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق * ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد﴾.

من النافخ: إسرافيل.

بأمر مَنْ: بأمر الملك جل وعلا.

لماذا ينفخ النفخة الأولى؟: للفزع.

﴿ويوم ينفخ فى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فى السَّموَاتِ ومَنْ فِى الأرضِ﴾[1].

(١) سورة النمل: ٨٧.

ويأمره الله بعد نفخة الفزع أن ينفخ نفخة الصعق: أى نفخة الموت.

﴿ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض﴾.

ويأمره الثالثة: **﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾**[١].

يخرج الناس من القبور حفاتاً، عراتاً، غُرلاً.. الرجال والنساء؟

نعم: الرجل مع المرأة.. المرأة أمامه عارية وهو أمامها عارٍ لا ينظر إليها ولا تنظر إليه؟ نعم.. ما هذا الذى وقع؟ وما هذا الذى حدث؟

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلت الساعة شىء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عَمَّا أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناسَ سُكَارَى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد﴾[٢].

﴿فإذا جاءت الصاخة * يوم يفر المرأ من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه﴾ لماذا؟ **﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾**[٣].

مثل لنفسك أيها المغرور … يوم القيامة والسماء تَمُور
إذا كورت شَمسُ النَّهارِ وأُدنيت … حتى على رأس العباد تَسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت … وتَبَدَّلت بعد الضياء كُدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها … فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجبالُ تعلقت بأُصُولها … فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت وتَخَرَّبت … خلت الديار فما بها مَعمُور
وإذا الوحوش لدى القيامة أُحشِرت … وتقول للأملاكِ أينَ تَسير

(١) سورة الحج: ١، ٢.
(٢) سورة الزمر: ٣٩.
(٣) سورة عبس: ٣٣-٣٧.

وإذا البحار تَفَجَّرت نيرانها ... فرأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا الصحائف نُشِّرت وتطايرت ... وتَهَتَّكت للعالمين ستور
وإذا الجليل طوى السَّما بيمينه ... طَيّ السِّجِل كتابه المنشور
وإذا الجنين بأمه مُتَعَلِّقٌ ... يخشى القصاص وقلبه مَذْعُور
هذا بلا ذَنْبٍ يخاف جِنَايَةً ... كيف المُصِرُّ على الذنوب دُهور؟
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طولِ البلاءِ صَبُور

﴿ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد﴾.

إنه يوم القيامة.. إنه يوم الحسرة والندامة.. إنه يوم الحاقة.. إنه يوم الآزفة.. إنه يوم الزلزلة.. إنه يوم الوعيد..

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾(١).

انتبه أيها الحبيب:

فإن هذا اليوم قادم.. والله لو أن الأمر توقف عند الموت بدون بعث وبدون حساب لكان الأمر سهلاً وهيناً وميسوراً..

ولكن بعد الموت بعث، وبعد البعث حشرٌ، وبعد الحشر صحفٌ، وبعد الصحف ميزان، وبعد الميزان جنةٌ ونيران.

إن الأمر والله جَد خطير..

ستقف بين يدى الله جل وعلا، يكلمك، وتكلمه إن كنت من أهل التوحيد، من أهل الإيمان، من أهل الاستقامة قَرَّبك الله منه سبحانه.

اسمع لهذا الحديث الذى لا تساويه الدنيا بما فيها.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٠.

في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال ﷺ:
«يُدْنى المؤمنُ من رَبِّه يوم القيامة، حتى يَضَعَ رب العزة عليه كَنَفَه» والكنف لغة: الستر والرحمة لا تأويلاً للصفة.

«فيقرره الله بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ فيقول: رب أعرف، رب أعرف، فيقول الله جل وعلا:

«ولكني سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تُطوى صحيفة حسناته»[1].

ويُعطى كتابه بيمينه.. يشرق وجهه.. ينبثق النور من وجهه وعلى يمينه ومن بين يديه ﴿**يوم لا يُخزي اللَّه النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أَتمم لنا نورنا وأغفر لنا إنك على كل شيء قدير**﴾.

أهل الأنوار.. اللهم اجعلنا وإياكم منهم.. يأخذ كتابه بيمينه.. ينير وجهه.. تشرق أعضاؤه وينطلق.. ينطلق إلى أحبابه وإخوانه.. إلى أهل التوحيد إلى أهل الإيمان.. إلى أهل الأنوار وهو يقول لهم:

اقرأوا هذا الكتاب.. هذا كتابي.. أعطاني الله بيمني.. يا فرحتي.. يا سعادتي..، سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفاز فوزاً لا يخيب ولا يخسر بعده أبداً..

يقول لهم: اقرأوا.. هذا توحيدي.. وهذه صلاتي.. وهذه زكاتي.. وهذا حجي، وهذا بري.. وهذه صدقتي، وهذه دعوتي، وهذا إخلاصي.. وهذا انفاقي، وهذا بذلي.. وهذا عطائي..

---

(١) **صحيح**: [السنة: ٦٠٤]، رواه البخاري (٢/ ٩٨)، (٢٤٤١)، وأحمد (٢/ ٧٤)، ومسلم (٨/ ١٠٥)، وابن ماجه رقم (١٨٣).

﴿هاؤم اقرأوا كتابيه * إنى ظننت أنى ملاق حسابيه * فهو فى عيشة راضية * فى جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية﴾(١).

أما إن كانت الأخرى عياذا بالله وحفظنا الله وإياكم وختم لنا ولكم بخاتمة الموحدين يقف بين يدى الله بمنتهى الخزى والذل والعار منكسًا رأسه.

﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار﴾(٢).

يقف ذليلاً أمام رب الأرض والسموات:

أين رأسك التى رفعتها فى عنان السماء على الموحدين؟

أين أنفك الذى شمخت به فى عنان السماء على الموحدين؟

أين مكانتك؟ أين غرورك؟ أين كِبرُك؟

إنه فى موقف الخزى والذل والعار:

﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد * من ورائه جهنمُ ويسقى من ماء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميتٍ ومن ورائه عذاب غليظ﴾(٣).

يعطيه الله كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويَسْوَدّ وجهه، ويكسى من سرابيل القطران، ويقال له انطلق إلى أمك الهاوية.. إلى جهنم واليعاذ

---

(١) سورة الحاقة: ١٩-٢٤.

(٢) سورة إبراهيم: ٥٠.

(٣) سورة إبراهيم: ١٥-١٧.

بالله فاخبر من هم على شاكلتك.. بهذا المصير. فينطلق وقد اسود وجهه.. فى أرض المحشر وهو يبكى ويصرخ ويقول:

﴿يا ليتنى لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية * ما أغنى عنى ماليه * هلك عنى سلطانيه * خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن باللَّه العظيم * ولا يحض على طعام المسكين * فليس له اليوم هاهنا حميم * ولا طعامٌ إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون﴾[(١)].

أسأل الله أن يختم لى ولكم بالتوحيد.

أيها الحبيب.. الكريم:

﴿ونفخ فى الصور ذلك اليوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت فى غفلة من هذا﴾[(٢)].

شغلك مالك.. شغلك جاهك.. شغلتك تجارتك.. شغلتك وزارتك.. شغلك مكتبك.. شغلك كرسيك.. شغلتك زوجتك.. شغلك ولدك.. شغلتك ابنتك..

أيها الحبيب الكريم:

إننا لا نريد بذلك أن نُقَنِّط أحداً.. وإنما نرى الأمة الآن قد حَقَّ عليها وصَدَقَ فيها قول من لا ينطق عن الهوى الذى ورد فى الحديث الصحيح من حديث ثوبان قال ﷺ:

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا: أَوَ مِنْ قلة نحن

---

(١) سورة الحاقة: ٢٥-٣٧.

(٢) سورة ق: ٢٠-٢٢.

قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: كلا ولكنكم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل وليوشكن الله أن ينزع المهابة من قلوب عدوكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قيل وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[1].

من هنا ننطلق لنذكر الأمة بهذا الداء العضال الذى تمكن منها فذلت وأهينت لإخوان القردة والخنازير الذين كتب عليهم الذل والذلة.

أحبت الأمة الدنيا وكرهت الأمة الموت.. ما عملت للموت.. واستعدت للقاء الله.

فهل فكرت أيها الحبيب فى هذا السؤال، هل فكرت فى عرضك على الكبير المتعال.

هل يسعدك الآن أن تلقى الله عز وجل على ما أنت فيه من تقصير.

هل يسعدك الآن أن تلقى الله عز وجل على ما أنت فيه من تفريط أو تضييع.

أيها اللاهى.. أيها الساهى:

يا من غرتك المعاصى وشغلك الشيطان عن طاعة الله.

أيها اللاهى.. أيها الساهى:

دع عنك ما قد فات فى زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعب
والروح منك وديعة أُودعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها ... دارٌ حقيقتها متاع يذهب
الليل فاعلم والنهار كلاهما ... أنفاسنا فيهما تعد وتحسب

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٨١٨٣، الصحيحة: ٩٥٨]، د (٤٢٩٧)، أ (٥/٢٧٨)، وغيرهما.

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن حبيبنا محمداً ﷺ.

أما بعد:

أيها الحبيب:

انتبه فإن الموت قادم. . فهيا كما رَهَّبَنَا وجب علينا أن نُرَغِّب، وكما خَوَّفنا يجب علينا أن نُرَجِّى.

أيها الحبيب الكريم: أقبل وعد إلى الله، وتب إلى الله، ولا تقنط ولا تيأس مهما بلغت ذنوبك وكثرت معاصيك، وفَرَّطت، وضَيَّعت وخالفت.

هيا من الآن جدد التوبة، وجدد الأوبة، وجدد العودة، وعاهد ربك الآن على أن تتوب إليه توبة نصوحاً.

يا من ضيعت الصلاة عد إلى الله وحافظ على الصلاة فى جماعة.

يا من ضيعت الزكاة هيا وأدى حق الله.

يا من عققت والدك. . يا من عققت أمك. . يا من فرطت فى حق الله. . يا من آذيت إخوانك. . يا من حاربت الله ورسوله. .

عد إلى الله، وتب إلى الله، واعلم بأن الله جل وعلا غفور كريم تواب رحيم هيا لنتب إلى الله جميعاً أيها المؤمنون.

﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوبَ جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾[1].

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

أيها الحبيب الكريم:

ورد في الحديث من حديث أنس أنه ﷺ قال:

«قال اللّه تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دَعوتَنى ورَجوتَنى غفَرتُ لك على ما كان منك ولا أبالى.. يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبُكَ عنانَ السماءِ ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أُبالى.. يا ابن آدم! لو أنك أتيتنى بقُرابِ الأرضِ خطايا ثم لقيتنى لا تُشرك بى شيئاً لأتيتك بقُرابها مَغفرة»[١].

تب إلى الله.. وعد إلى الله.. أيها الحبيب، ولا تيأس ولا تقنط.

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل اللّه سيئاتهم حسنات وكان اللّه غفوراً رحيماً﴾[٢].

فهيا أيها الشاب.. عُد إلى الله جل وعلا، وتب إلى الله سبحانه وتعالى.

واعلم بأن الله سيفرح بتوبتك.. وسيفرح بأوبتك.. وهو الغنى عن العالمين الذى لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية..

واعلم بأن الدنيا إلى زوال، وبأن الحياة الباقية فى جنة عند الكبير المتعال **﴿إن المتقين فى جنات ونهر * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾**[٣] إلا أن سلعة الله غالية إلا أن سلعة الله الجنة، والجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«الجنة بناؤها لبنة من فضةٍ، ولبنةٌ من ذهبٍ، ملاطُها المسكُ الأذفر،

---

(١) حسن: [ص.ج: ٤٣٣٨، الصحيحة: ١٢٧]، ت (٢/ ٢٧٠).

(٢) سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) سورة القمر: ٥٤، ٥٥.

وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس أبداً، ويَخلُدُ لا يموتُ، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم»[1].

أيها الحبيب الكريم:

ورد فى سنن ابن ماجه وصحيح ابن حبان وفى سنده سليمان بن موسى مختلف فيه وبقية رجال الإسناد ثقات من حديثى أسامة بن زيد أنه ﷺ وصف الجنة يوماً لأصحابه فقال:

«هى ورب الكعبة نورٌ يتلألأ.. وريحانة تهتز.. وقصر مشيد.. ونهر مضطرد، وفاكهة كثيرة، وزوجة حسناء جميلة».

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

إلا من مشمر للجنة.. قالوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله قال لهم: قولوا: إن شاء الله عز وجل..

وأختم بهذه الأبيات، يقول علىّ رضى الله عنه وأرضاه:

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التى كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشر خاب بانيها

أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب البوم نبنيها

وكم من مدائن فى الآفاق قد بنيت ... أمست خرابًا وأفنى الموت أهليها

أين الملوك؟ التى كانت مسلطنةً ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

إن المكارم أخلاق مطهرة ... الدين أولها والعقل ثانيها

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٣١١٦، المشكاة: ٥٦٣٠] رواه أحمد والترمذى رقم (٢٥٢٨).
والملاط: الطين يجعل بين ساقتى البناء، والأذفر: مسك أذفر إذا كان طيب الريح.

والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والفضل باقيها
لا تركنن إلى الدنيا وزخرفها والموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار غد رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهبٌ والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن مصفى ومن عسل والخمر يجرى رحيقاً فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة تسبح الله جهراً فى مغانيها
فمن يشترى الدار فى الفردوس يعمرها بركعة فى ظلام الليل يحييها

واعلم بأن نعيم الجنة الحقيقى ليس فى خمرها ولا فى ذهبها ولا فى قصورها ولا فى حريرها ولكن نعيم الجنة الحقيقى فى رؤية وجه ربها.

﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[١].

وعن صهيب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:

«إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدُكُم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة،وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم»[٢].

اسأل الله جل وعلا أن يمتعنى وإياك بالنظر إلى وجهه الكريم.

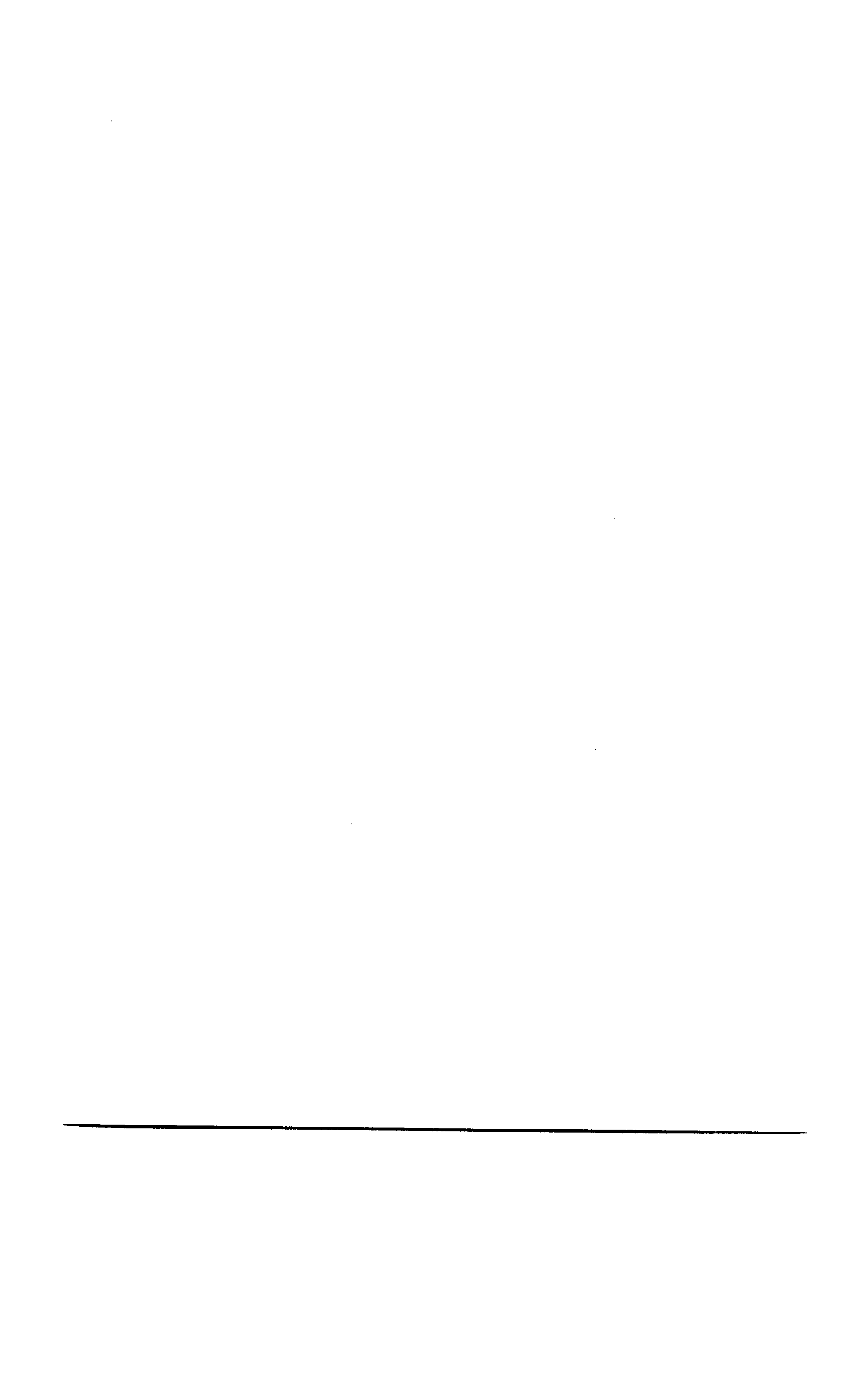
واللهم أقبلنا وتقبل منا وتب علينا وارحمنا إنك أنت التواب الرحيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

(١) سورة القيامة: ٢٢.

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٥٢٣]، م (١٨١/٢٩٧، ٢٩٨)، ت رقم (٢٥٥٢)، جه رقم (١٨٧) فى المقدمة، أ (٣٣٢/٤ - ٣٣٣)، وأبو عوانة (١٥٦/١)، وابن أبى عاصم فى السنة (٤٧٢).



الخطبة الخامسة:

الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد العزيز بالله بالزيتون - القاهرة.

(١) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٢.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار[1].

أما بعد:

أحبتى فى الله :

نظراً لطول الموضوع وأهميته فسوف أركز حديثى مع حضراتكم فى العناصر التالية.

أولاً : شهادة الله لهذه الأمة .

ثانياً : انحراف الأمة عن المنهج .

ثالثاً :معالم مضيئة على طريق البعث من التعبية إلى الريادة وأهمها:

١- إقامة الفرقان الإسلامى لاستبانة سبيل المجرمين .

٢- تصفية العقيدة، وتنقية الشريعة، وتهيئة الفرد المسلم الذى يُحَوِّل العقيدة والشريعةَ إلى منهج حياة .

٣- بعث آداب السلوكِ والأخلاق الإسلامية .

٤- فليكن ولاؤنا للإسلام فقط دون سواه .

أحبتى فى الله:

إن الحياة الإنسانية . . مجالُ صراع رهيب بين الأمم . . وكلُّ أُمَّة تَدَّعى لنفسها الفضلَ والكمال. . ومِنْ ثَمَّ فهى التى تستحق أن تَسُوَدَ وتَقُود.

---

(١) هذه خطبة الحاجة التى كان النبى ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللشيخ الألبانى رسالة نافعة فيها فراجعها.

فلقد ادَّعى اليهود والنصارى والوثنيون أنهم الأكمل والأفضل وأن غيرهم من الأمم ليس على شئ .

كما قال سبحانه : **﴿وقالت اليَهودُ ليسَت النَصارَى على شئ وقالت النصارَى ليست اليهودُ على شَئ وهم يَتلونَ الكتاب كذلك قال الذينَ لايعلَمون مثلَ قولَهم﴾**[١].

والذين لا يعلمون فى هذه الآية هم مشركوا العرب، بل لقد غالى اليهودُ والنصارى فى دعواهم فزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، كما فى قوله جل وعلا :

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناءُ الله وأحبَاؤه قل فلم يعذِّبُكُم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممن خَلَق﴾[٢].

ثم ازداد غلوهُم فجعلوا الجنة حكراً ووقفاً عليهم لايدخُلها غيرهُم **﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نَصَارىَ تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**[٣] .

* ولا تزال أممُ الأرض تدَّعى هذا إلى اليوم . .

* فجاءت ألمانيا فرفعت شعارَها الخبيث: ألمانيا فوق الجميع .

* وجاءت أمريكا لتسوق العالم كله بعصًا غليظة وكأنها من طينةٍ تختلف تماماً عن طينة البشر .

* ثم جاء القرآنُ ليبين بجلاء، مكانة أمةِ المصطفى ﷺ بين جميع الأمم .

---

(١) سورة البقرة: ١١٣ .

(٢) سورة المائدة: ١٨ .

(٣) سورة البقرة: ١١١ .

فقال سبحانه :

﴿كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللَّه﴾[١] .

وقال جل وعلا :

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾[٢] .

وفى الحديث الذى رواه البخارى وغيره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «**يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكُم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك يا نوح؟ فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا فذلك قوله تعالى:** ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**ثم قال: والوسط العدل**[٣] .

وهذه الخيرية لهذه الأمة الميمونة ليست ذاتية ولا عرقية ولا عصبية ولكنها خيرية مستمدة من الرسالة التى شُرِّفَتْ الأمة بحملها للناس أجمعين .

ولم يكن هذا التكريمُ والتفضيلُ لهذه الأمة إعتباطاً . . وإنما كان لأمة استقامت على دين الله وحولت الإسلام إلى منهج حياة . . فى جانب

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠ .

(٢) سورة البقرة: ١٤٣ .

(٣) **صحيح**: [ص.ج: ٨٠٣٤] رواه البخارى (٤٤٨٧) فى التفسير، ورواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

الاعتقاد، وفى جانب التعبد، وفى جانب التشريع، وفى جانب المعاملات، والأخلاق والسلوك، وأقامت للإسلام دولة من فتات متناثر.

أذلت الأكاسرة. . ، وأهانت القياصرة. . ، وغيرت مجرى التاريخ فى فترة لا تساوى فى حساب الزمن شيئا. . ، وفتحت نصف كرة الأرض فى نصف قرن من الزمان.

ثم راحت الأمة تبتعد شيئاً فشيئا عن أصل عزها و نبع شرفها .

حتى وقعت فى المنكر الأعظم الذى لم يكن يخطر البتة لأحد على بال . . يوم أن نَحَّت شريعة الله عز وجل وحكمت قوانين الشرقِ والغرب!! فخابت وخسرت. ونزلت من عليائها إلى هذا الدرك من الذل والهوان الذى وصلت إليه اليوم .

بل وأصبحت قصعة مستباحة للذليل قبل العزيز وللضعيف قبل القوى وللقاصى قبل الدانى.

كما فى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد وأبو داود من حديث ثوبان أنه ﷺ قال: « **يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: «من قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاءٌ كغثاءِ السيل، ولينزعن الله من صدور عدُوِّكم الوهن، فقال قائل: يارسول الله وما الوَهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت»**[1].

نعم . .لقد أصبحت الأمة غثاءً من النفايات البشرية تعيش على ضفاف مجرى الحياة الإنسانية كدويلات متناثرة ومتصارعة. تفصل بينها

---

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٨١٨٣]، [الصحيحة: ٩٥٨]، أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) فى الملاحم، رواه أحمد (٥/ ٢٧٨).

حدودٌ جغرافية ونعرات قومية مصطنعة. . وترفرف فى سمائها راية القومية وتحكمها قوانينُ الغرب العلمانية وتدور بهـا الدوامات السياسية فلا تملك نفسها عن الدوران، ولاتختار لنفسها المكان الذى تدورُ فيه!

ذلت بعد عزة. . وضعفت بعد قوة . . وجهلت بعد علم وأصبحت فى ذيل القافلة الإنسانية بعد أن كانت بالأمس القريب تقود القافلة بجدارة واقتدار .

وأصبحت تتـسولُ على موائد الفكر الإنسانى بـعد أن كانت بالأمس القريب منارة تهدى الحيارى والتائهين الذين أحرقهم لفح الهاجرة القاتل وأرهقهم طولُ المشى فى التيه والظلام .

وأصبحت تتأرجح فى سيرها بل ولاتعرف طريقها الذى يجب عليها أن تسلكه بـعـد أن كـانت بالأمس القـريب الـدليل الحـاذق الأرب فى الدروب المتشابكة والصحراء المهلكة التى لا يهتدى للسير فيها إلا الأدلاء المجربون.

ويجب أن نعلم يقينًا أن كل ما حدث للأمة، إنما وقع وفق سنن ربانية لا تتبدل ولا تـتغير ولا تُحابى أحـداً من الخلق مهما زعم وادَّعى لـنفسه من مقومات المحاباة ولن تعود الأمة إلى سيادتها إلا وفق هذه السنن التى لا يُجدى معها تعجل الأذكياء أو وهم الأصفياء!

فنحن مسئولون ابتداءً وإنتهاءً عن هزائمنا وتخلفنا، ونرفض بشدة كل محاولة تبـريرية تحاول أن تجعل من الأمم الأخرى التى تكيد لنا مـشجباً لنعلق عليه كل تلك الهزائم وهذا التخلف.

وقـد حـذرنا الله عـز وجـل مـن هـذه السلبـيـة فقـال سبـحـانه :

﴿أولَمَّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنَى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾(١).

نعم نحن لاننكرَ الدور الخطير الذى قام به أعداء الأمة لكن لا ينبغى أن نتغافل عن مرضنا نحن..

ومن هنا فإنه لابد من معالم فى طريق الإحياء الإسلامى حتى لا نبتعد عن الإسلام وُسيلة ونحن نتجهُ إليه هدفاً .

وحتى لا نبقى نتطلعُ إلى قيادة البشرية كما يتطلعُ الحالمون إلى أحلامهم من بعيد دون أن يملكوا السبيل إلى تحويلها إلى منهج عملى على أرض الواقع .

وها أنذا أحاولُ جاهداً أن أحددَ بعض المعالم على طريق بعث الأمة وإخراجها من جديد من التبعية الذليلة، إلى الريادة التى ما خلقت الأمة إلا لأجلها، لا سيما ونحن نعيش الآن صحوة إسلامية راشدة، لا ينكرها إلا جاحد، بدأت بالفعل تحول الأمة، وتعالت الأصوات المخلصة الصادقة تسأل عن الخلاص وتبحث عن الطريق.

أولاً: إقامة الفرقانِ الاسلامى لاستبانة سبيل المجرمين.

فلقد تمكن أعداءُ هذه الأمة من تشويه الصورة المشرقة للإسلام ليلتبس على الأمة أمُر دينها وليصبح الإسلام الواحدُ، بعقيدته، وشريعته، ومنهجه اسماً متعدداً بتعدد ألوان مؤامرة الإلتباس والتزييف لصد الأمةِ عن دين الله عز وجل.

وهذا أشقُ ماتعانيه الحركةُ الإسلاميةُ على وجه الأرض ويعرف أعداءُ

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٥.

الإسلام خطورة هذه الثغـرة. فيعكفون عليـها توسيعاً، وتميـعاً وتخليطاً لسبـيل المؤمنين، وسبيل المجـرمين لحد أصبح فـيه الجهرُ باسـتبانه سـبيل المجرمين تهمةً يؤخذ عليها بالنواصى والأقدام .

ومن هنـا فـإن الرحـلة الطويلـة. .الطويلة. . لإعــادة الأمــة إلى الريادة. .ولإعادة الإسلام إلى أرجاء الأرض. .تبدأ من هنا.

من إسقاط اللافتات الكاذبة الخادعة. .وفضح الشعارات المضللة التى يتخفى خلفهـا أعداءُ هذه الأمة ليلبسّوا على العامّة أمرَ دينـهم وعقيدتهم وعندها.

بل وعندها فقط. . يتمايز الناس إلى فسطاطين. فسطاط إيمان لانفاق فيه، وفسطاط نُفاق لا إيمان فيه .

وحيـنئذ تخرجُ الأمةُ من حـالة الغبش، والتـذبذب، إلى دينها الحق لنصرته بكل سبيل.

ويقـفز إلى ذهنـى الآن ذلكم المشهـد الوضئ من مـشـاهد الفرقـان الإسلامى الذى ربى عليه النبى ﷺ أصحابه منذ اللحظات الأولى.

فلقد روى ابن جرير الطبرى:

أن النبى ﷺ قال: **ادعُو لى عبد اللّه بن عبد اللّه بن أُبَىّ بن سَلول.**

فلما جاء قال له رسول الله ﷺ: **ألا ترى مايقول أبوك يا عبد اللّه؟**

فقال عبد الله: وماذا يقول أبى، بأبى أنت وأمى يارسول الله؟

فقال رسول الله: **يقول لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.**

فقال عبد الله:

لقد صدق والله يارسول الله فأنت والله الأعز وهو الأذل.

أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله وإن أهل يثرب لا يعلمون أحداً أبَرَّ بأبيه منى أما وقد قال فلتسمعن ما تَقَرُّ به عينُك.

فلما قدموا المدينة قام عبد الله على باباها بالسيف لأبيه ثم قال: أنت القائل لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؟!.

أما والله لتعرفن هل العزة لك أم لرسول الله، والله لايأويك ظلها، ولا تبيتن الليلة فيها إلا بإذن من الله ورسوله.

فصرخ عبد الله بن أُبيّ: يا للخزرج ابنى يمنعنى بيت.

فاجتمع إليه رجال فكلموه.

فقال: والله لا يدخل بيته إلا بإذن من الله ورسوله.

فأتوا النبى فأخبروه فقال:

اذهبوا إليه فقولوا له يقول لك رسول الله خلّه ومسكَنَه.

فأتوه فقالوا ذلك فقال: أما وقد جاء الأمر من رسول الله فنعم ليعلم من الأعز ومن الأذل!!!

هذه هى الخطوة الأولى ليعلم أبناءُ الأمة فى ظل هذا التلبيس والغبش سبيل المؤمنين الصادقين وسبيل المجرمين المضللين .

ثانياً: تصفيةُ العقيدة وتنقيةُ الشريعة وتهيئةُ الفرد المسلم الذى يُحَوّل العقيدة والشريعة إلى منهج حياة.

فالإسلام عقيدةٌ تنبثق منها شريعةٌ تنظم كلَّ شئون الحياة.

فالعقيدة هى الأصل الأول الذى ترتكز عليه دعائم الشريعة ولن يقبل الله من الناس الشريعة إلا إذا صلحت عقيدتهمُ وأمنوا بالله عز وجل.

فإذا رسخت العقيدةُ فى النفس يمكن أن نبنىَ المجتمع الذى يلتزم فى

حيـاته كلها بشرع الله. . ، فـى علاقتـه بربه. . ، وعلاقتـه بالإنسان. . ، وعلاقته بالكون والحياة.

ولهذا كانت العقيدة هى أول ما دعا إليه الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى :

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون﴾[1] .

والعقيـدة الإسلامية ليـست مجردَ عقـيدة وجدانية منعـزلة عن الحياة البشرية، كلا . . ، ولا يوجد رسول بعثه الله بعقيدة مجردة عن الشريعة أبداً.

فالحيـاة فى ضوء الإسلام؛ نظامٌ خُلقى، يقوم على إشاعـة الفضيلة، واستئصال الرذيلة.

ونظام سياسى أساسُه إقامةُ العدل بين الناس بتحكيم دين الله.

ونظام اجتماعى نواته الأسرة الصالحة وأصله التكافل بين الناس.

ونظام اقتصادى لحمته العملُ والإنتاج وفق التصور الإسلامى.

والمصدرَ الأولُ للعقيدة والشريعة هو القرآن:

ولا زال بحمد الله موجـوداً على النحو الذى أنزله الله عزوجل على قلب نبينا ﷺ لم يتبدل فيه حرف.

قال تعالى: **﴿إنا نحن نَزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[2].

والمصدر الثانى هو السنة:

ولقـد قـيض الله لهـا رجـالاً يذبون عنهـا كـذبَ الكذَّابين، ووضع

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة الحجر: ٩.

الوضّاعين، وانتحال المبطلين، فحفظت السنة مع القرآن بإذن من الرحيم الرحمن.

ويبقى أن نعد الكوادر الإسلامية المتخصصة التى تكون قادرة على تسيير شئون الحياة كلها من منظور العقيدة الصافية والشريعة الخالصة كما فعل أصحاب رسول الله ﷺ وهذه مسئولية كل مسلم ومسلمة أن يحول الإسلام فى حياته كلها، فى عمله وبيته إلى منهج حياة.

وهذه لا عذر لك فيها بين يدى الله جل وعلا نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لذلك وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

* * *

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

أحبتى فى الله:

ثالثاً : بعثُ آداب السلوك والأخلاق الإسلامية.

ولو قلنا بأن من أعظم أسباب تخلف الأمة أنها انحرفت عن أخلاق الإسلام وآدابه، لو قلنا ذلك فما حدنا أبداً عن الصواب.

ورحم الله من قال :

وإنما الأممُ الأخلاقُ مابقيت فإن همو ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا

والله لقد ذهبت أمتنا يوم أن ذهبت أخلاقها..،ولن تعود أمتنا إلا إذا عادت إلى أخلاقها وعادت إليها أخلاقُها التى أوجدت يوماً خير أمة أخرجت للناس.

ولا ينبغى أن يستهين مسلم بالأخلاق كوسيلة من أعظم وسائلِ بعث الأمةِ من جديد.

* فحاكمٌ ذو خلق هو رحمة الله فى الأرض .

وحاكم بلا خلق هو ذئب جائع شرير مسلط على رقاب الناس وأعراضهم وأموالهم.

* وعالم ذو خلق هو مصدرُ هداية،ورحمةٍ لملايين البشر ممن يتلمسون الطريق ويبحثون عن الحق.

وعالمٌ بلا خلق هو مصدرُ هدم، ومعولُ تدمير لآلاف البشر ممن يحملون قلوباً مريضة في كل زمان ومكان .

* وجندى ذو خلق أفضلُ فى الميدان من ألف جندى بلا خلق.

* وتاجر ذو خلق أنفعُ لأمته من ألف تاجرٍ بلا خلق.

ولا ينكر منصفٌ على الإطلاق أن الأمة بجميع فئاتها وأفرادها فى حاجة إلى عودة صادقة إلى أخلاق هذا الدين.

وقد يرد علينا قائل:

بل إن الأمة فى حاجة إلى العلم والمال والتكنولوجيا فى عالم الصناعة والسلاح.

ونحن لا ننكر هذا أبداً. ،بل إننا لعلى يقين أن هذا كله بدون الأخلاق لاقيمة له. . ،بل ربما يتحول إلى مصدر إهلاك وخراب ودمار.

وخُذ لذلك مثلاً:

فهذا مهندس حاذق بارع مؤتمن على مشاريع الأمة وبين يديه من مقومات البناء والتعمير ما يحول به الخراب إلى عمران، ولكنه متجرد عن الأخلاق لا يعرف الصدق ولا يحب الأمانة ويحبذ الغش والتزوير، ولا يحب إلا المال .

فماذا ستكون النتيجة؟

انهيار مئات المنازل وتدمير وتخريب لمئات المشروعات وإزهاق للأرواح وإهدار لطاقات هذه الأمة .

وهكذا أيها الأحبة. قد يكون من السهل جداً أن نقدم المنهج الأخلاقى النظرى ولكنَّ هذا المنهج سيظل حبراً على ورق مالم يتحول إلى منهج عملى وواقع يتحرك فى دنيا الناس.

ولقد علم الله جل وعلا أنه لابد للناس من قدوة طيبة لتحولَ هذا المنهَج الأخلاقى بين الناس إلى واقع، فبعث الله محمداً ﷺ ليكون قدوةً طيبةً للناس أجمعين ومثلاً خالداً لجميع العالمين قال سبحانه:

﴿ لقَد كَانَ لَكُم فِى رَسُول اللَّه أسوةٌ حسنةٌ لمن كَانَ يَرجُوا اللَّه واليومَ الآخرَ وَذكَرَ اللَّه كثيراً ﴾(١).

وأتوقف مع مشهدٍ واحدٍ، يتألق روعةً وسمواً وجلالاً ممن بُعث ليتمم مكَّارم الأخلاق ﷺ.

فلقد روى ابن إسحاق ان عُميرَ بنَ وهب أُسر ولده وهبُ بن عُمير فى غزوة بدر، فجلس عمير مع صفوان بين أمية فى الحِجْر وَذَكَرَا أهل بدر.

فقال عُمير بن وهب: والله لولا دَيْنٌ عَلَىَّ، وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد لأقتله فإن لَى قبلهم علة، ابنى أسيرٌ فى أيديهم فاغتنمها صفوان بن أمية وقال: علىَّ دَيْنُك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى، لا أمنع شيئاً عنهم.

فقال له عمير: فاكتم شأنى وشأنك، قال: أفعل.

فانطلق عمير إلى المدينة وقد شحذ سيفه وسمَّه، فلما أناخ على باب المسجد رآه عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه.

فقال عمر: هذا عدو الله عميرُ بن وهب والله ما جَاء إلا لشر.

ثم أخذ عمر بحمالة سيفه فى عنقه فلببَّه بها ثم أدخله على رسول الله ﷺ:

فقال النبى: **أرسله يا عمر.**

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١.

ثم قال: **ادن يا عمير** . . فدنا من رسول الله.

فقال له المصطفى ﷺ: **ما الذى جاء بك يا عمير؟**

فقال: جئت لابنى، أسيرٌ فى أيديكم لتحسنوا فيه.

قال النبى ﷺ: **فما بالُ السيفِ فى عنقك.**

فقال عمير: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر؟!

فقال النبى ﷺ: **اصدقنى يا عمير، ما جاء بك؟**

فقال: ما جئت إلا لذلك.

فقال المصطفى ﷺ: **بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحِجْر، فذكرتما أهل بدر من قريش، ثم قلت لصفوان: لولا دَيْن علىَّ وعيالَ أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد لأقتله، فتحمل لكَ صفوان بدَينكَ وعِيَالك،على أن تقتلنى، والله حائل بينك وبين ذلك** . . الله أكبر.

فنطق عمير قائلاً: أشهد أنك رسول الله.

والله هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله: **فقهوا أخاكم فى دينه واقرؤوه القرآن وأطلقوا له أسيره.**

ولا أظن أنه فى لغة البشر وقواميس الدنيا ما نستطيع أن نعبر به عن هذه الأخلاق السامية والآداب العالية التى أدخلت كثيراً من الناس فى دين الله أفواجاً.

وما أحوج الأمة اليوم إلى هذه الأخلاق.

رابعاً : فليكن ولاؤنا للإسلام فقط دون سواه.

فمن أخطر الأمراض التى تعمل علــى تفتيت وحدة المسلمين وذهاب ريحهم التشتتُ والعصبية البغيضة المنتنة، التى تثور بين الجماعات العاملة بصفة خاصة وبين الدول الإسلامية بصفة عامة، من حين لأخر.

ولاشك على الإطلاق أن الإسلام جـعل الرابطة التى تجمع المسلمين وتوحدهــم هى الإسلام، وما قــامت دولة الإسلام إلا علــى أساس هذه الرابطة وانصــهرت فى هذه البــوتقة الـطاهرة كل العصــبيــات للجنس، واللون، والوطن، والنسب، وأصبح كلُ تجمع على غير الإسلام جاهليًا. . مقيتاً. . بغيضاً عند الله وعند رسوله ﷺ .

وفى الحديث الذى رواه مسلم من حديث جندب بن عبد الله البجلى أن النبى ﷺ قال: «**مَن قُتِل تحت راية عِمِّيه يدعو عصبية وينصر عصبية فَقِتْلَتُهُ جاهلية**»[1].

وعندما اختلف رجلان من المهاجرين والأنصار، فتناديا يالَ المهاجرين، يالَ الأنصــار قــال النبى ﷺ: « **دعــوها فــانهــا مُنتِنَةٌ**»[2]. والحـديث فى صحيح مسلم.

ولقد ثارت نار هذه العصبيات البغــيضة فى هذا القرن الأخير بصورة بشعة حطمت معها الرابطة الحية التى جمعت المختلفين أجناساً، وألواناً، وأوطانا.

---

(١) **صحيح**: [الصحيحة: ٤٣٤، ٢/ ٧١٥] رواه مسلم رقم (١٨٥٠) فى الإمامة، والنسائى (٧/ ١٢٣) فى تحريم الدم.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (٦/ ٣٩٨) فى الأنبياء، باب فى دعوى الجاهلية (٨/ ٩٩) فى تفسيـر سورة المنافقين، وأخرجه مسلم رقم (٢٥٨٤) فى البر والصلة، والترمذى رقم (٢٣١٢). دعوها: أى الجاهلية، ومنتنة: من النتن، أى أنها كلمة قبيحة خبيثة.

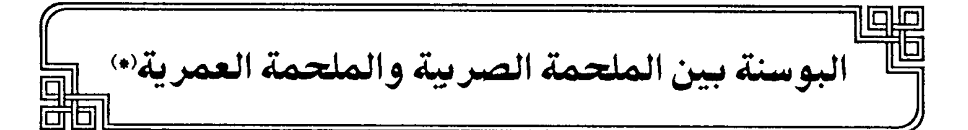
وإذا كانت الفرقة والشتات سبباً للذل والهوان فإن الوحدة على أساس الإسلام هى سبيلُ العزة، والبعث من التبعية إلى الريادة من جديد.

اللهم ردَّ الأمة إليك رداً جميلاً وأسعد قلوبنا بنصرة التوحيد وعز المؤمنين واشف صدور قوم صادقين برحمتك يا أرحم الراحمين أنت ولى ذلك ومولاه.... الدعاء.

* * *



الخطبة السادسة:



البوسنة بين الملحمة الصربية والملحمة العمرية(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد التوحيد برمسيس - القاهرة.

(١) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

(٢) سورة النساء : ١.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٢.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار(١).

أما بعد

أحبتى فى الله :

أشعر بالخجل ويشاركنى هذا الشعور كلُ مسلم غيور، أن تتصاعدَ أحداثُ البوسنة إلى ماوصلت إليه ثم نتجاهل هذا الحدث الضخم المروع لنتحدث عن موضوع آخر. .

فإننى أرى أن من الواجب على العلماء والدعاًه أن يكونوا على مستوى أحداث أمتهم الجريحة.

فإن الناسّ اليوم فى حاجه إلى الكلمة الصادقة، وسط هذا الركام الهائل من التحليلات والتقارير والأخبار التى تَصُمُّ الآذان فى الليل والنهار.

واجب على العلماء والدعاة أن يشخصوا الداء بدقة وأمانة وأن يحددوا الدواء للخروج بالأمة من هذه الذيلية المهينة، والتبعية الذليلة، إلى السعادة والريادة التى ماخلق الله الأمة إلا من أجلها.

ومِنْ ثَمَّ فاسمحوا لى أن يكون لقاؤنا اليوم بعنوان:

البوسنة بين الملحمة الصربية والملحمة العمرية

---

(١) هذه خطبة الحاجة التى كان النبى ﷺ يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللشيخ الألبانى رسالة نافعة فيها فراجعها.

والحديث عن البوسنة حديثُ ذو شجون ولذا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم فى العناصر التالية :

أولا : الملحمة الصربية .

ثانياً : الملحمة العمرية .

ثالثاً : دروسُ من الأحداث .

فأعيرونى القلوب والأسماع فإنّ الخَطْبَ كبير !!

أولا : الملحمة الصربية

أحبتى فى الله : إننى أشعر الآن بصعوبة بالغة وأنا أحدثكمُ اليوم عن البوسنة وأحداثها .

فالواقع أن نهر الدم الذى لاينقطع قد أصبح واقعاً معتاداً يحمل بين ثناياه مزيداً من التعاسة والحسرة والألم .

ولذا فإن أىَّ مأساةٍ بوسنية جديدة لاتثير فى النفوس إلا مجردَ الاشمئزاز والتحسر فقط . إذ أن المأساة نفسها قد طالت وحفلت بألوان الظلم والوحشية والبربرية ، حتى أصبح العالمُ الغربى ، بل والاسلامى مُهَيئاً دوماً لاستقبال المزيد من الجرائم البشعة الرهيبة للمسلمين ، هنالك على أيدى كلاب الصرب .

بل وربما وصل الأمر ببلادة الحس ، وموت المشاعر ، أن يُستغرب أن يمر أسبوع أو يوم دون وقوع مأساةٍ جديدة ضحاياها هم المسلمون الضعفاء .

إنها الجريمة الكبرى التى لم يشهد التاريخ البشرى لها مثيلاً أبداً فى وحشيتها وقذارتها وانهيار كلِ معانى الإنسانية .

قصص مرعبة تقشعر منها الأبدان، وتشيب لهولها النواصى، وترتجف لها القلوب، وتتجمدُ لها الدماء.

إنها الجريمة الكبرى التى تجرى منذُ أربعِ سنوات على أرض البوسنة تنفيذاً عملياً للملحمة الصربية القذرة، التى تُسمى «بإكليل الجبل» والتى تقول:

«سلك المسلمون طريق الشيطان.. دنسوا الأرض ملؤوها رجساً.. فلتعُد للأرض خصوبتُها.. ولنطهرها من تلك الأوساخ.. ولنبصق على القرآن.. وليطير رأسُ كلِ من يؤمنُ بدين الكلاب ويتبعُ محمداً.. فليذهب غيرَ مأسوف عليه».

هذه عقيدة الصليب !!

وصدق الله إذ يقول: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**﴾[1].

وانطلق الصرب لتنفيذ هذه الملحمة الوقحة. بكل وحشية. تزداد كل يوم ويزداد العالمُ كله من حولهم صمتًا وعجزاً وخيانةً وخذلانًا.

فلقد اشترك فى الجريمة جميعُ أنواع الأسلحة التى يملكها الصرب من دبابات وطائرات، وقاذفات، وأسلحة خفيفة، وثقيلة، ولك أن تتخيل هذه الجريمة البشعة إذا علمت أن عدد القتلى فى البوسنة قد تجاوز نصفَ مليون. أسأل الله أن يتقبلهم جميعاً فى الشهداء.

نعم أيها المسلمون.

فلقد كانت ولاتزال عملياتُ الذبحِ الجماعى والتمثيلُ بالجثث للشباب والشيوخ والأطفال والنساء بصورة تنخلع لها القلوب.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٠.

أما عملياتُ الاغتصاب لـلنساء المسلمات، كانت تتم بصورة منظمة، مخططـة، تحت إشراف القيـادة الصربيـة، بل وبفتوى مـن رجال الدين الأرثوذكس، ولقد نشـرت وكالات الأنباء العـالمية صوراً تجمـد الدماء، وتخلع القلوب.

وحشـية يـقف الخيـالُ أمامـها ... مـتــضـائـلاً وتَمَجُّهـا الأذواق

أطفـالُنا ناموا عـلى أحلامـهم ... وعلى لهـيب القاذفـات أفاقـوا

أطفـــالُنا بيـــعـوا وأوربـا التى ... تشْرى فـفيـها راجت الأسـواقُ

أين النـظام العـــالمى أمـــا له ... أثـرٌ. ألـم تَنْعِق بـــه الأبـواقُ

أين السـلام العـــالمى لقـد بدا ... كذبُ السـلامِ وزاغت الأحداقُ

يامـجلس الأمـن الذى فى ظله ... كُسِر الأمـان وضـــيع الميــثـاقُ

حتى قـالت فتـاة بوسنية وهى تخـاطب المسلمين فى كل مكان: «إن عجزتم عن مَدِّنا بالسـلاح للدفاع عن شرفنا وديننا فأمـدونا بحبوب منع الحمل حتى لاتعظم المصيبة».

وأقام الصـرب معتقـلات عديدة احتجـزوا فيها عـشرات الآلاف من البوسنين إذاقوهم فيها أشدَ أنواع التعذيب المروعة.

ومن أبشع صور هذه الجريمة الكبرى التـى لم تكن تخطر البته لأحد على بال أنهم بعد مـاقتلوا أربعين ألفَ طفلٍ من أطفال البـوسنة وشردوا مايقرب مـن مائه ألف طفل فى مخيـمات اللاجئين فى زغرب ومـقدونيا والبانيا أو فى الملاجئ الكَنَسِيَّة فى قلب أوربا.

بعد كل هذا فكروا فى عمل شيطانى إجرامى رهيب فهم يستخدمون أجـساد الأطفـال كدروع بشـرية فهم يلغـمون أجـساد الأطفـال الأبرياء

ويرسلونهم إلى القوات البوسنية تحت زعم الإفراج عنهم وبمجرد أن يصل هؤلاء إلى قواعد القوات البوسنية يتم تفجيرهم بواسطة الريموت كنترول وهذه الظاهرة للأطفال الملغمين ظاهرة مجرمة يعرفها التاريخ لأول مرة فى عصر الحضارة المزعومة .

* يستخدمون أطفالنا . . . أطفال البوسنة فى تجارة رقيق جديدة على أوسع نطاق لتمويل الحرب ببيعهم للكنائس، ولتجار الرقيق فى أوربا.

* يسخدمون الأطفال الآن كفئران تجارب فى المعامل والمصانع لإجراء الاختبارات عليهم.

* يستخدمون الأطفال أيضاً كوسيلة إعلامية كاذبة لتحسين صورة الصرب المجرمين، يصورون الطفل البرئ الصغير، وهو يجرى على أب صربى، فيحتضنه ويضمه إلى أبنائه، ليضحكوا على العالم الخائن وأهله من السذج والرعاع.

كل هذا وغيره يتم على مَسْمَع ومرأى من العالم المتحضر الذى يغنى ويرقص كل يوم بحقوق الإنسان، وجمعيات الرفق بالحيوان، والنظام العالمى الجديد، وحرية الأديان، والديمقراطية إلى آخر هذه الشعارات المزيفة الكاذبة.

قتل امرىء فى غابة جريمة لاتُغتفر وقتلُ شعبٍ آمنٍ مسألة فيها نظر

إنه عالمُ الوحوش والذئاب . . ، إنه عالمُ الأفاعى والثعالب.

قتل وذبح واغتصاب وتعذيب واعتقال وتهجير . . كل هذا طيلة هذه السنوات فأين مجلس الرعب.

وأين الخائن العام للأمم المتحدة؟! أين العالمُ كله بكل مؤسساته

وهيئاته؟! بل وأين العالم الإسلامى الذليلُ المهين الذى لم يحرك ساكنا إلى الآن لأنه لايجيد إلا الجعجعة والصياح؟!

آه يا مسلمون..

آه يا مُسلمون مُتم قروناً ... والمحاق الأعمى يليه محاقُ

أىٌّ شئ فى عالم الغاب أنتم ... آدميون أم نعاج تسُاق

نحن لحم للوحش والطير منا ... الجثث الحمر والدم الدفاق

وعلى المحصيات تبكى البواكى ... يالعرض الأسلام كيف يُراق

يا قطيعا من ألف مليون رأس ... صار نهبأ يجرى عليه السباق

قد هوينا لما هوت وأعدواً ... وأعدوا من الرذى ترياق

وإقتلعنا الإيمان فاسودت ... الدنيا علينا واسودت الأعماق

وإذا الجذر مات فى باطن ... الأرض تموت الأغصان والأوراق

آه يا مسلمون

سرايفوا تباد والعالم ... كله خيانةٌ وخسّةٌ ونفاق

سرايفوا من دولة المجد ... عثمانٌ أبوها والفاتح العملاق

سرايفوا من قلب مكة ... بالتوحيد يعلو لوائها الخفاق

نطقت بالشهادتين وهذا ... عندهم جُرَمُها الذى لايطاق

تركوها وحولها من كلاب الصرب ... طوق من خلفه أطواق

قدمتها الصلبان للصرب ... قرباناً وللصرب كُلهِّم عشاق

وبيدى بطرس وتبت يداه ... علقت فى المشانق الأعناق

لايزال الصليب يحجب عينيك ... ونجم الكنيسة البراقُ

ولو فعلنا بالصرب ما فعلوه ... لرأينا مثل الذى رأه العراق

قد حفظنا للمرة الألف عنكم عالمُ الغاب ماله ميثاق
سل عن العدل جدك الولد القبطى لما جرى بمصرَ السباق
قد حملنا قرآننا فأضاءت ألف عامٍ مضت وسبعٌ طباق

يوم أن انطلق فاروق الأمة عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ليتسلم مفاتيح بيتِ المقدس وقد أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم بصورةٍ سيقف التاريخ أمامها وقفة إعزاز وإجلالٍ وإكبار.

وهذا نصُ العهد الذى أعطاه لهم أميرَ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه.

« بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أعطى عبد الله عمرُ بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم، إنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم. ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحدٌ منهم. وعليهم أن يُعطوا الجزية كما يُعطِى أهل المدائن، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغ مأمنه، ومن كان منهم من أهل الأرض وشاء أن يرجع إلى أهله فلا يؤخذ منهم شئ حتى يُحصد حصادهم.

وعلى ما فى هذا الكتاب عهدُ الله وذمةُ رسوله ﷺ وذمةُ الخلفاء، وذمةُ المؤمنين إذا أعطوا الجزية التى عليهم.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان سنة خمسة عشر.

هذا هو الإسلام يامن تخشون الإسلام. لا مجال فيه أبداً للتعصب أو للقوة أو للظلم.

ومن الجفاء أن أنسى الآن هذا المشهد الوضئ الذى يتألق سمواً وروعة وعدلاً وجلالاً أهديه للنصارى الحاقدين على ظهر الأرض.

يوم أن دخل على عمر بن الخطاب فى المدينة شاب قبطى من أهل مصر يقول: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، ويستوضح عمر فيخبره القبطى أن محمد بن عمرو بن العاص قد أوجعه ضرباً بالسوط لأنه سابقه فسبقه وهو يقول خذها وأنا ابن الأكرمين فأجلسه عمر ثم أرسل رسالة إلى عمر بن العاص وقال له فيها: إذا انتهيت من قراءة كتابى هذا فاركب إلىَّ مع ولدك محمد.. فجاء عمرو بن العاص ومن خلفه محمدٌ ولده فقال عمر: أين القبطى؟ فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين. فقال عمر: خذ الدِّرة واضرب ابن الأكرمين فضربه حتى أوجعه ثم قال له عمر أَجِلهَا واضرب على صَلْعَة عمرو فوالله ما تجرأ عليك ولده إلا لسلطان أبيه. فقال القبطى: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربنى.

فقال له عمر بن الخطاب: والله لو ضربته ماحُلْنَا بينك وبين ذلك.

ثم التفت عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وقال: قولته الخالدة: «يا عمرو متى استعبدتم الناسَ وقد ولدتهم أمهاتُهم أحراراً»!!

هذا هو الإسلام.. وتلك هى عظمته.. فياليت قومى يعلمون!!

وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

* * *

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسـتغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنـا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن مـحمداً عـبده ورسوله.

أما بعد:

أحبتى فى الله:

ثالثاً: دروس من الأحداث

* إن أول درس يخرج به المسلم الواعى من هذه الأحداث الدامية أن كل ما وصل إليـه العلمُ الحديث من تقـدم مذهل فى عـالم الاتصالات والمواصلات والطب والصناعة وعلوم النفس والتربية وغيرها. إن هذا كله لم يستطع أن يرتقى بالإنسان ابن هذه الحضارة المزعومة من حالة الوحشية والظلم إلى وضاءة آدميته وطهارة إنسانيته، فإن إنسان هذه الحضارة الخاوية يصنع بالإنسان ما تخجل الوحوش الضارية أن تفـعله ببعضها البعض فى عالم الغابات .

فلم يتـورع هذا الانسـان المتـوحش عن إلقـاء القنابـل النووية على هيروشيما ونجازاكى.

ولم يتورع هذا الإنسان المتوحش عن إبادة شعب الهنود الحمر كذلك ولم يتورع هذا الإنسان المتوحش أن يُبيد شعوباً بأكملها من أجل أن يعيش هو وليكونوا عبيداً لهواه.

ثم لا يستحى أن يملأ الدنيا بهذه الشعارات الجوفاء كحقوق الإنسان وحرية الأديان والديمقراطية إلى آخر هذه الشعارات.

إنها وربِّ الكعبة حضارة العبيد وصدق الله إذ يقول: **﴿لقد خَلَقنا الإنسانَ فى أحسن تقويم * ثم رَدَدناهُ أَسْفَلَ سافلين * إلاَّ الذين آمنوا وَعملُوا الصالحات فَلَهُم أجرٌ غيرُ مَمنون * فما يُكَذِّبُكَ بَعدُ بالدين * أَلَيَسَ اللَّهُ بأحكم الحَاكمين﴾**(١).

وهكذا يتردى الإنسان بوحشيته، وإجرامه، وإنحرافه، عن منهج الله إلى أسفل سافلين **﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا﴾**(٢).

فلا سعادة للبشرية كلها إلاَّ إذا عادت إلى منهج ربها بعد أن أحرقها لفح الهاجرة القاتل وأرهقها طول المشى فى التيه والظلام.

﴿ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾(٣).

* الدرس الثانى من الأحداث أنه يجب أن نعلم «أن للحضارات دورات فلكية فهى تغرب هنا لتشرق هنالك، فكم من أمم وحضارات مرت بسنوات قوة وانتشار، ثم انتكست وتلاشت تدريجيا،ً وأصبحت حدثاً تاريخياً تطويه السنون. فكم من حضارة سادت وبغت وطغت فأخذها ربك أخذ عزيز مقتدر **﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد* إرم ذات العماد***

---

(١) سورة التين: ٤-٨.

(٢) سورة طه: ١٢٤.

(٣) سورة الروم: ٤١.

التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد﴾(١).

ولكن الأمة الإسلامية بحمد الله قد تمرض وتعتريها فترات من الركود الطويل ولكنها بحمد الله لا تموت لأنها تملك أعظم مقومات البقاء إنْ هى عادت إلى منهج الله عز وجل .

* لقد جرّبت الشعوب الإسلامية المعاصرة كل ألوان الشعارات وظلت تتقلب فيها سنوات متتابعة ولكنها سرعان ما عرفت إفلاس تلك الشعارات.

والأمة كلها الآن متعطشة عطشاً شديداً لهذا الإسلام فقد ملّت الأمة العبث وأيقنت أن خلاصها الحقيقى هو اعتصامها بمنهج الله عزوجل فهل سيخلى الحكام بين الأمة وبين دينها لتعود إليها سيادتها وكرامتها.

بعد ما تبين للجميع أن الأمة المريضة الهزيلة لا يعبأ بها أحد على الإطلاق ولا تُقدر ولا تُهاب ولا يحسبون لها أى حساب .

* ومن أهم الدروس التى نخرج بها من الأحداث أن ما أصاب الأمة من ذل وضعف إنما هو بسبب بعدها عن الله .

﴿ ليس بأمَانيكُم ولا أمانى أهلِ الكِتَابِ من يَعمَل سوءًا يُجزَ بِهِ ولا يَجِدْ له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾(٢).

﴿أو لَمَّاَ أصَابتكم مُصيبَةٌ قَد أَصَبتُم مِثلَيها قُلتُم أَنَّى هذا قُل هُوَ مِن عِندِ أنفُسِكُم إِنَّ اللَّه عَلى كل شَيَءٍ قدير﴾(٣).

(١) سورة الفجر : ٧.
(٢) سورة النساء: ١٢٣.
(٣) سورة آل عمران: ١٦٥.

والنياحة والتباكى والعويل والخطب الرنانة لن يغير من الواقع شيئاً بل هذه حيل العجزة القاعدين الذين يرضون الدنية فى دينهم ولكن طريق التغيير طريق طويل شاق، ولكن إمامة الشعوب ليست أحلاماً وشعارات، وإنما لا يكون ذلك إلا ببذل الأسباب الشرعية التى أمر الله بها ورسوله ﷺ .

* وأخيراً : إن الظهور والغلبة فى النهاية أن شاء الله تعالى مهما طال الطريق وكثرت العقبات ستكون لأولياء الله ﴿**ولقد سَبَقَت كلَمَتُنَا لعبادنا المرسلين* إنهُم لهم المنصورون* وإن جُندَنا لهم الغالبون**﴾[1].

اللهم رد الأمة إليك رداً جميلاً . .

اللهم احمى المسلمين الحفاة العُراة الجياع برحمتك يا أرحم الراحمين . . الدعاء.

* * *

(١) سورة الصافات: ١٧١-١٧٣ .



الخطبة السابعة:



الدعوة أبقى من الداعية(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد مصعب بن عمير - بروكلن - نيويورك.

(١) سورة الأحزاب: ٧٠،٧١.

(٢) سورة النساء : ١.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٢.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أما بعد:

أحبتى فى الله:

هاهى الأيام تمر.. والأشهر تجرى ورائها.. تسحب معها السنين.. وتجرُ خلَفها الأعمار.. وتُطوى حياةُ جيلٍ بعد جيل.

فالحمد لله الذى جمعنا فى الدنيا على محبته وطاعته ونسألُه سبحانه وتعالى أن يجمعنا وإياكم مع حبيبنا المصطفى فى جنته ودار كرامته.

أما بعد:

فحيّ الله هذه الوجوهَ التى طال شوقُنا إليها.

وزكى الله هذه الأنفس التى انصهرنا معها فى بوتقة الحب فى الله.

وشرح الله هذه الصدورَ التى جمعنا وإياها كتابُ الله.

وبارك الله فيكم جميعاً وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

أحبتى فى الله:

أودُ أن أحدثكم اليومَ حديثاً طويلاً حديث المُحبِ إلى أحبابه وإخوانه.. ولكن إشفاقاً بكم سأركز الحديثَ فى عدة عناصر أراها من وجهة نظرى فى غاية الأهمية وهى:

أولاً: الدعوة أبقى من الداعية.

ثانياً: إن الله ناصر دينه بنا أو بغيرنا.

ثالثاً: منهجُ عملٍ نعاهد الله عليه.

فأعيرونى القلوبَ والأسماعَ.

أحبتى فى الله:

أولاً: الدعوة أبقى من الداعية

نعم.. إن البشـرَ جميعـاً إلى فناء.. والعقيدة والدعـوة إلى بقاء.. ومنهجُ الله للحـيـاة مـسـتقلٌ فى ذاتـه عن الذين يحـملونَه ويؤدونَه إلى الناس، من الرسُلِ والدعاةِ على مدى التاريخ كُلِه.

فالدعوةُ أكـبُر من الداعية.. وأبقى من الداعـية.. ودعاتُها يجـيئون ويذهبون، وتبقى هى على مر الأجيال والقـرون،ويبقى اتباعُها موصولين بمصدرِهاَ الأول وهوالحىُّ الباقى الذى لايموت.

ولو ماتت دعوةُ وإنتهت بموتِ دُعاتها.. لماتت وإنتهت دعوةُ الإسلام بموتِ سيدِ الدعاةِ وأعظمِ رسولِ وداعية عرفته الدنياَ محمد ﷺ. ولذلك أراد الله أن يعلمهم هذا الدرس فى حياته ووجوده ﷺ.

فلما هتف الهاتفُ فى غزوةِ أحد قائلاً:

إن محمداً ﷺ قد قُتل.. إن محمداً قد مات.

وما أن وصلت هذه الكلماتُ إلـى آذان المسلمين فى أرض المعركة إلا وانقلب الكثير منهم عائدين إلى المدينة يائسين.. وقد أحسوا أنه لاجدوى إذن من قتـال المشركين.. وبموت مـحمـد ﷺ قد إنتهى أمـرُ هذا الدين وإنتهى أمرُ الجهاد للمشركين.

فأراد الله جل وعـلا أن يربيَّهم بهذه الحـادثة وأن يعدَّهم لحـمل أمانةِ هذا الدين بعدَ موت رسولالله ﷺ فنزل قولُ الله سبحانه وتعالى:

﴿ ومَا مُحَمـدٌ إلاَرُسولٌ قـد خَلَت من قَبلِهِ الرُّسُلُ أَفَإين مَّاتَ أو قُتِلَ

انقَلَبْتُم على أعقَابِكُم ومَن ينقَلِب على عَقِبَيه فَلَنَ يَضُرَّ اللَه شَيْئًا وسَيَجزِى اللُه الشَاكِرِينَ﴾[1].

إن محمداً ﷺ رسولٌ مـن عند الله جاء ليبلغَ دعوة الله إلى أن يلقى الله والله باقٍ لا يموت . . ودعـوتُه باقيـةٌ لا تموت . . وما ينبـغى أن يرتَد المؤمنون على أعقابهم إذا ماتِ أو قُتل الـنبىُ الذى جاء ليبلغَهم دعوةَ الله عز وجل.

وكأنما أراد الله سبحانه وتعالى بهذه الحادثة أن يجعل ارتباط المسلمين بالإسلامِ مباشــرةٌ وأن يجعل عهدهم مع الله مباشـرةٌ حتى لا يَتخلو عن هذه المسؤلية وهذا العهدِ بموتِ رسولالله ﷺ فهم إنما بايعوا الله وعاهدوه وهم أمام الله مسئولون.

وكأنما أراد الله سـبحـانه وتعالى أن يأخـذَ بأيديهم فيـصلهَا مبـاشرةً بالعروة الوثقى التى لم يعقْدها محمد ﷺ بل جاء ليعقدَ بها أيدى البشر ثم يدعَهم عليها ويمضى إلى ربه وهم بها مستمسكون.

ووعى أصحـابُ النبى ﷺ هذا الدرسَ جيـداً، فرفعـوا الرايةَ خفـاقة عالية وحملوا هذا الدين الذى خالطَ دمائهم ونفوسهم وأرواحَهم.

* فـهذا أنس بـن النضـــر رضى الله عنـه يمرُ بقـوم من المسلمين قـد ألْقَوا ما بأيديهم فـى غـزوة أحدٍ فيـقول لهم : ما تنتظرون فـقالوا: قُتل رسول الله ﷺ.

فقال أنس رضى الله عنه فما تصنعون فى الحـياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسولُ الله.

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

ثم استقبل الناسَ ولقى سعد بن معاذ فقال ياسعدُ إنى لأجُد ريحَ الجنة من دُون أحد. فقاتل رضى الله عنه حتى قتل فما عُرِفَ حتى عَرَفَتْهُ أختُه بِبَنَانِه، وبه بضعٌ وثمانون مابين طعنةٍ برمح وضربةٍ بسيفٍ ورميةٍ بسهمٍ»[١].

* وهذا أبو دجانه رضى الله عنه يترَّسُ على رسول الله ﷺ بظهره والنبل يسقط على ظهره ويقع فيه كالأمطار وهو لايتحرك حتى لايصاب رسولُ الله ﷺ بمكروه وسوء.

* وهذا سعدُ بنُ الربيع الأنصارى رضى الله عنه: يقول زيُد بنُ ثابت رضى الله عنه: بعثنى رسول الله ﷺ يومَ أحد أطلبُ سعدَ بنَ الربيع فقال لى رسولُ الله: «**إن رأيته فاقرئه منى السلام وقلْ له : يقولُ لكَ رسولُ اللّه: كيف تَجِدُك**؟ قال زيد: فجعلتُ أطوفُ بين القتلى فأتيتُه وهو بآخر رَمَقٍ وفيه سبعونَ ضربةً ما بين طعنةٍ برمح وضربة بسيفٍ ورميةٍ بسهم فقلت يا سعدُ إن رسول الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرنى كيف تَجِدُك؟ فقال سعدُ: وعلى رسول الله ﷺ السلامُ قل له: يا رسولَ الله أجد ريح الجنة، وقل له إن سعداً يقول لك جزاك الله عنا خيراً يا رسول الله، وأبلغ القوم عنى السلام وقل لهم يقول لكم سعد: لا عذر لكم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه من وقته رضى الله عنه»[٢].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخارى (٧/ ٢٧٤) فى المغازى، ومسلم فى الإمارة، والترمذى (٣١٩٨)، (٣١٩٩)، وأحمد (٣/ ٢٠١، ٢٥٣) من حديث أنس رضى الله عنه.

(٢) أخرجه ابن هشام فى(السيرة) ٢/ ٩٤,٩٥م فصلاً وأخرجه مالك فى الموطأ (٢/٤٦٥، ٤٦٦) مرسلاً وقال ابن عبد البر: هذا الحديث لا أعرفه مسنداً، وهو محفوظ عند أهل السير.

* وهذا بطل وعملاق آخر يعلمنا درساً فى الفداء للإسلام ولرسول الله ﷺ درساً ليس له نظير، إنه «خُبْيبُ بنُ عدى» رضى الله عنه الذى صلبه المشركون فى مكة بمكان يُقال له التنعيم واحتشدَ المشركون حوله فى شماتهٍ ظاهرة ووقف الرماة يشحذون رماحَهم لتمزيق هذا الجسد الطاهر فى جنونٍ ووحشيه.

ويستأذن خبيب فى أن يصلىَ لله ركعتين، فأذنوا له فصلى ركعتين فى خشوعٍ وإخبات، فلما سلَّمَ التفت إليهم وقال: والله لولا أن تروا أن مابى جَزَعٌ لزدتُ (أى من الصلاة) ثم توجه إلى الله جل وعلا قائلاً:

«اللهم أحصهم عددا واقتلْهُم بددا[1] ولاتُبْقِ منهم أحداً»[2].

ثم أنشد قائلاً :

لقد أجمعَ الأحزابُ حَوْلى وألَّبُوا	قَبائلَهُم واستجمعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
وقد قَربُوا أبناءهُم ونَساءَهُم	وقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَويلٍ مُمَنَّعِ
إلى الله أشكوا غُربتى بعد كُربتى	وما أرْصَدَ الأحزابُ لى عند مصرعىَ
وقد خيرونى الكفرَ والموتُ دُونَهُ	فقد ذَرَفَتْ عيناىَ مِنْ غيرِ مَجْزَعِ
وَمَابى حِذَارُ الموت إنِّى لميتٌ	وإنَّ إلى ربى إيابى ومَرْجِعى
ولستُ أبالى حينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً	عَلى أىِّ جنبٍ كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الله وإن يشأْ	يُبارِكْ فى أَوْصَالِ شلْوٍ مُمَزَّعِ
فلستُ بمبدٍ للعدوِّ تَخَشُعاً	ولاجَزَعاً إنى إلى الله مرجعى

فقال له أبو سفيان : أيسرُّك أن محمداً عندنا تُضْرَبُ عنقُه وإنك فى

(١) بددا : متفرقين فى القتل واحداً بعد واحد من التبديد.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخارى (٤٠٨٦) فى المغازى.

أهلك فقال: لا والله ما يسُّرنى أنى فى أهلى وأن رسولَ الله فى مكانِه الذى هو فيه تُصيبُهُ شوكةٌ تؤذيه.

(أخرجه البخارى فى كتاب المغازى فى باب غزوة الرجيع وأخرجه احمد فى المسند وابن سعد وابن هشام وابن كثير والطبرى).

وهكذا وعى أصحابُ النبى ﷺ الدرسَ جيداً.

فيجب علينا أيها الأحباب أن نعى هذا الدرسَ جيداً فنجعل ولائنا لله جل وعلا وحده وأن نخلص عبادتنا وأعمالناَ لله جل وعلا وحده.

فيا من جعلتم ولاءَكم لأشخاص الدعاة اجعلوا ولاءكم لله. فكم توقفت دعواتٌ بسببِ ارتباط أفرادها ارتباطاً مباشراً بشخص الداعية لابدعوته، فإذا مات هذا الداعيةُ أو ترك مجالَ دعوته لسبب أو لأخر، أصيبتُ الدعوةُ بالتوقف أو بالإعياء على أقل حال.

ولاحول ولاقوة إلا بالله.

ولكن اعلموا جميعاً أحبتى فى الله أننا لن نضر إلا أنفسنا.

إن الله جل وعلا غنى عن العالمين لاتنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

﴿ومَن ينقَلب على عَقِبَيهِ فَلَنَ يَضرُّ اللَّه شيَئًا وسَيَجزِى اللهُ الشَاكرِيَن﴾(١)

ثانياً: إن الله جل وعلا سينصر دينَه بنا أو بغيرنا، وإن المستقبل لهذا الدين رغم كيدِ الكائدين.

ولقد توالت البشائرُ من القرآنِ والسنة بنُصرة هذا الدين. لأنه دينُ الله عز وجل.

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

وانتبهوا معى إلى هذا العنصر الخطير لأننى أرى موجةً عاتيةً عارمةً من القنَوطِ واليأس تجتاحُ قلوبَ كثير من المسلمين لِما وصلت إليه الأمة المسلمة من ذلة وضعف وهوان!!

ولكن الذى يفصل فى الأمر ليس هو ضخامةُ الباطل وإنما الذى يفصل فى الأمرِ هو قوةُ الحق . ولاشك على الإطلاق أن معنا الحقَ الذى لأجله قامت السمواتُ والأرض وإليكم بعضُ هذه البشائر.

أولاً: بشائرُ القرآن

* **البشارة الأولى**: وعدُ الله جل وعلا بظهور دينه وغلبته.

يقول الحق جل وعلا فى سورة الكهف ﴿ **يُريدُونَ ليطفئُوا نُورَ الله بأفواهِهم واللَّه مُتُم نُوره ولو كَرِهَ الكافرُون، هو الذى أَرسَلَ رسولَهُ بالهُدَى ودين الحقِ ليُظهِرَهُ عَلَىَ الدينِ كُلّه ولو كَرِهَ الْمُشركُون**﴾[1].

إن نورَ الله لا يمكن أن تطفئَه جميعُ الأفواهِ ولو اجتمعت.

وأما من ناحية الواقع فقد صدق وعْد الله وأتم الله نورهَ فى حياة نبيه ﷺ، فأكمل الله به الدين، وأتم الله به النعمة، وانطلق الصحابةُ بهذا الدين وهم يحرصون على الموت كحرصنا على الحياة فأعزهم الله ودانت لهم معظمُ المعمورة على مدى قرن من الزمان.

* **البشارةُ الثانية** : وهى قولُ الله جل وعلا فى سورة الأنفال:

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ**

---

(١) سورة الصف: ٨.

فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(١).

يالها من بشارة حقٍ من الحق جل وعلا تريح القلبَ وتشرح الصدرَ.

إن أعداء الله لا يدخرون شيئا فى وسعهم لحرب الإسلام فلقد بذلوا الأموال بسخاء رهيب للصد عن سبيل الله ولتنحية الإسلام.

ولكنهم سينفقون هذه الأموالَ لتضيع عليهم فى النهاية وينتصر دينُ الله بإذن الله عز وجل، ويحشرون فى الآخرة إلى جهنم لتتم حسرتهُم الكبرى.

* فكم أُنفق من أموال لتنصير المسلمين ؟!

* وكم أُنفق من أموال لإشاعة الرذيلة عن طريق الأفلام الداعرة والمسلسلات الفاجرة؟!

* وكم أُنفق من أموال لتدعيم الإقتصاد الربوى الفاجر حتى لا تقوم للإقتصادِ الإسلامى قائمة؟!

* وكم أُنفق من أموال على أندية الماسونية؟!

* وكم أُنفق من أموال للقضاء على كتائب الصحوة الإسلامية فى كل مكان؟!

* ولكن ما هى النتيجةُ بالرغم من كل ذلك ؟

النتيجة بفضل الله أيها الأحباب «وثيقة خطيرة كشفت عنها صحيفة «نيويورك تايمز انترناشونال» فى عددها الصادر فى الثالثِ والعشرين من شهر يناير لعام [١٩٩١].

(١) سورة الأنفال: ٣٦.

وهى «وثيقة التنصير الكَنَسِى» التى كتبت فى أكثر من مِائةٍ وخمسين صفحة وتم إعدادُها عبَر دراسات دقيقة إجُريت خلالَ خمسِ سنوات.

وفيها يصرخ بابا الفاتيكان «جون بول الثانى» ويوجه النداء إلى جميع النصارى فى مختلف أنحاء العالم. للتحرك بسرعة من أجل نشر المسيحية (على حد قوله) لمواجهة المدِ الإسلامى الذى أخذ يمتدُ ويتصاعدُ فى مختلف أنحاء العالم. ثم انتقد بشدة القساوسة والمنصرين العاملين فى مجال الكنيسة.

واعترف مساعدو البابا اعترافاً صريحاً فى هذه الوثيقة بأن الإسلام هوالتحدى والمنافسُ الأول لهم وأنهم يحسون بهلعٍ شديد من انتشار المد الإسلامى فى مختلف أنحاء العالم.

وصدق الله جل وعلا:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[١].

※ **البشارة الثالثة** : وهى قولُ الله تعالى فى سورة النور:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢].

---

(١) سورة الأنفال: ٣٦.

(٢) سورة النور: ٥٥.

ولقد تحقق وعـدُ الله فى حياةِ رسوله ﷺ، وفى حـياةِ الجيل الأول، حتى وصلت حدودُ الدولةِ الإسلامـية إلى أقصى المشرقِ والمغربِ، وكُسِر كسرى، وأُهين قيصر، وأعز الله دينَه وأظهره، ووعدُ الله مذخورٌ لكلِ من يقومُ على منهجِ الله من هذه الأمة إلى يوم القيامة.

وأكتفى بهذا القدر من بشائر القرآن وإلاّ فهى كثيرة بفضل الله جل وعلا.

ثانياً: البشائر النبوية بنصرة الإسلام وظهوره

البشارةُ الأولى: فى الحديث الذى رواه أحمد والطبرانى وقال رجالهُ رجالُ الصحيح ورواه الحاكمُ وقال صحيحُ على شرط مسلم.

من حديث تميم الدارى رضى الله عنه قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلُغَنَّ هذا الأمرُ مابلغ الليلُ والنهار ولايترك الله بيتَ مَدَرٍ ولاوبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذلَ الله به الكفر**»(١).

البشارةُ الثانية: فى الحديث الذى رواه الامام أحمدُ وصححه العراقى وقال ابنُ حجرَ الهيثمى فى مجمع الزوائد رجالُه ثقات.

من حديث حذيفةَ بنِ اليمان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

« **تكون النبوةُ فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها**

---

(١) سورة النور: ٥٥

(٢) **صحيح**: [الصحيحة: (٣)] ، رواه أحمد (٤/١٠٣) والطبرانى فى المعجم الكبير (١/١٢٦/١) ورواه ابن حبان فى صحيحه رقم (١٦٣١، ١٦٣٢) والحاكم (٤/ ٤٣٠-٤٣١) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، قال الألبانى: وإنما هو على شرط مسلم فقط.

ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضاً فيكون ماشاء الله أن يكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»(١).

البشارةُ الثالثة: في الحديث الذى رواه أحمد وابنُ حبان والحاكمُ وقال صحيحُ الإسناد ووافقه الذهبيُ وأقره الحافظ المنذرى.

أن النبى ﷺ قال: **«بشر هذه الأمة بالسَّناء، والدين، والرفعة، والنصر، والتمكين، ومن عمل منهم عملَ الآخرةِ للدُّنيا لم يكن لهُ فى الآخرةِ من نصيبٍ»**(٢).

البشارةُ الرابعة: وهى من أعظم البشائر التى بشرنا بها الصادق المصدوق ﷺ.

فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

«لاتقوم الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهود،فيقتُلهم المسلمون،حتى يختبئ اليهودى من وراءِ الحجر والشجر،فيقول الحجر أو الشجر: يامسلم! ياعبد الله! هذا يهودى خلفى،فتعال فاقتلهُ إلا الغرقد،فإنهُ من شجر اليهود»(٣).

---

(١) صحيح : [الصحيحة : (٥)] رواه أحمد (٤/ ٢٧٣).

(٢) صحيح : [ص.ج: ٢٨٢٥] رواه أحمد فى المسند (٥/ ١٣٤)، وابن حبان فى صحيحه والحاكم (٤/ ٣١١).

(٣) متفق عليه: [ص.ج: ٧٤٢٧] رواه البخارى (٦/ ٧٥) فى الجهاد، ومسلم رقم (٢٩٢٢) فى الفتن.

ولذلك فإنهم يقومون بحملة واسعة لزراعة هذا النوع من الأشجار لأنهم على يقين بصدق محمد ﷺ وبمجئ هذا اليوم.

ويزداد أملنا بنصرة هذا الدين فى الوقت الذى نرى فيه إفلاسَ الأنظمةِ البشرية وفى الوقتِ الذى نسمع فيه هذه التصريحات المرعبة التى تنذرُ بسوءِ مصير البشريةِ فى ظل هذه الحضارة الماديةِ المدمرة التى ماتركت شيئا إلا واخترعته لإبادة البشرية بكاملها فى لحظاتٍ معدودات!!

وفى نفس الوقت الذى نرى فيه صحوة إسلامية مباركة تزداد يوماً بعد يوم فى جميع أنحاءِ العالم.

* فهيا أيها المسلمون .. هيا أيها الشباب.. هيا أيها الأخيار الأطهار.. هيا أيها المتوضئون.. هيا .. إلى وعد الله القائم الذى ينتظرُ العصبةَ المؤمنة التى تحمل الراية وتبدأُ من نقطةِ البدأ التى بدأ بها محمدٌ ﷺ وهو يحملُ دينَ الله ويتحركُ بنور الله.

وهنا يتساءل المخلصون الذين يريدون أن يبذلوا أرواحَهم، ونفوسَهم، وأموالَهم لهذا الدين. فما العمل؟

وما هو واجبنا ودورنا الذى ينبغى أن نقومَ به؟

وبهذا نصلُ إلى العنصرِ الثالثِ والأخيرِ من عناصر هذا الموضوع ألا وهو.

ثالثا :منهجُ عملٍ نعاهد الله عليه ورسوله

أولاً: لابد لكم قبلَ كلِ شئ من معرفة دقيقةٍ بحقيقة الإسلام، لتكونوا مسلمين علماً، وتفكيراً، كما أنكم مسلمون قلباً، وعاطفة،

ولتكونوا على قسط كبير من القدرة ،والكفاءة اللازمة، لتسيير شئون الحياة وفقاً لأحكام الإسلام وقواعدة وتحويلها إلى واقع عملى.

* عليكم أن تبادروا إلى تقويم ما اعوج. وإصلاح ما فسد من الأخلاق والعادات حتي تشهدواً بذلك شهادةً عملية للإسلام الذى شهدتم له من قبل شهادةً قولية . لأن التناقض بين القول، والعمل، يزرع بذور النفاق فى القلوب .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[1].

* عليكم أن تهتموا كذلك بقدر ماتستطيعون بنشر الدعوة بين صفوف العوام حتى تبددوا ظلام جهلهم وتجعلوهم على بينة من أمر دينهم، وحتى يتبين لهم الخبيث من الطيب.

* على كل مسلم ومسلمة أن يعمل جاهداً لتحكيم شريعة الله وأن يعلن تمسكه بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأن يساهم فى ذلك من موقع مسئوليته ومكان عمله ولايجبنُ عن هذا الشرف بقدر استطاعته، فلو اجتمعت القلوبُ على قلب رجل واحد والأصوات على صوت رجل واحد أن حكموا فينا شرع الله واحكمونا بدين الله لحُكِّم فينا كتابُ الله وسنة رسوله ﷺ .

* إعدادُ الكوادرِ المسلمة فى جميع التخصصات والمجالات.

فعلى كل مسلم أن يبدأ من الآن مهما كان مجالُ عمله وتخصصه أن يفكر بصدقٍ كيف يكونُ جندياً للاسلام وكيف يخدم الاسلامَ من موقعه.

---

(١) سورة الصف : ٣

الاقتصادى مثلاً يفكر ويدرس ويخطط من الآن ماهو السبيل لرفعة الاقتصاد الإسلامى والقضاءِ على النظام الربوى وأن نتحول من موقع التبعية إلى موقع القيادة والريادة .

نريد الاقتصادى المسلم، ونريد الدبلوماسى المسلم، ونريد المهندس المسلم، ونريد الطبيب المسلم والمدرس المسلم ونريد المرأة المسلمة التى تهز المهدَ بيمينها وتزلزل عروشَ الكفرِ بشمالها.

* على جميع المسلمين من أصحابِ الأموال، وهم كثرةُ والحمد لله، أن يتقوا الله فى إسلامهم، وأن يعلموا أن هذا المالَ الذى وهبهم الله عز وجل إنما هو محطُ الابتلاءِ فليجتمعوا ويخططوا كيف يُستغل هذا المالُ لصالح الإسلام والمسلمين، فى مجال الزراعة. . فى مجال الصناعة. . فى مجال الاقتصاد. . فى مجال التعليم. . فى مجال الإعلام. . لتكون القيادةُ والريادةُ للمسلمين. . لأن أموالَ المسلمين فى غير بلاد المسلمين هى التى تحركُ العالم كله فلماذا لايكونُ هذا للمسلمين. . ؟ لماذا لايكونُ لهم القرار، وتكون لهم القيادة والسيادة؟!

* وهذا من أهم بنود هذا المنهج العملى.

وهو نداءُ إلى كلِ الإسلاميين فى كل مكانِ ومن كل اتجاه ألاَّ يحاولوا إقامة نظامِ إسلامى على أسس غير سليمة وعلى دعائم ضعيفة، وقواعد متزلزلة، لأن الأهدافَ التى نُريدُ تحقيقهَا إنما هى أهدافٌ ضخمة كبيرة تهدف إلى إعادة الناسِ إلى حظيرة الإسلام بعد الانحراف الذى هم عليه منذ زمن طويل وذلك بَعمل علنى واضح وضوحَ الشمسِ فى رابعة النهار. . فعليكم أن تنشروا دعوتكم علناً وتقوموا بإصلاح قلوب الناس

وعقولهم بأوسع نطاق، بسلاح منَ الخُلقَ العذب. . ، والشمائل الكريمة. ، والسلوكِ الحسن. . ، والموعظةِ الحسنةِ. . ، والحكمةِ البالغة، وأن تواجهوا كل مايقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الأبطال المخلصين.

لان الذى يملك الأرواح والأرزاق هو الله ومحال أن يموت المظلومون ويبقى الظالمون.

أين الظالمون وأين التابعون لهم ... فى الغَىِّ بل أين فرعونُ وهامان
أين من دوَّخوا الدنيا بسطوتهم ... وذِكرُهُم فى الورى ظلمٌ وطغيان
هل أبقى الموت ذا عزٍ لِعزَّته ... أو هل نجا منه بالسلطان إنسان
لا والذى خلق الأكوان من ... عدم الكل يفنى فلا إنس ولا جان

وأخيراً أيها الأحباب:

اعلموا أنه إذا وجُد المؤمنون كان النصرُ بإذن الله .

﴿ كانَ حَقاً عَلينا نَصرُ المؤمنين﴾(١).

وما عليك أيها المسلم. . ، وما عليكِ أيتها المسلمة. . ، إلاَّ العمل والاجتهاد.

وما عليك إلا أن تجتهد وأن تعمل للإسلام من خندقك. . ،وفى موقعك على قدرِ استطاعتك. . ، وهذا هو دورك لأن الله تعالى لن يسألنا لماذا لم تنتصروا؟!

ولكنَّ السؤال لماذا لم تعملوا؟!

﴿ وقل اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُوله والمؤمِنُون وَسُترَدَّونَ إلىَ عَالِم الغَيبِ والشَّهَادَة فَيُنَبِّئُكم بِمَا كُنتم تَعملُون﴾(٢).

(١) سورة الروم : ٤٧.

(٢) سورة التوبة : ١٠٥.

وَصدق الله جل وعلا إذ يقول:

﴿ واللَّه غَالبٌ عَلَىَ أَمره ولَكنَّ أَكثر النَّاسِ لا يَعلَمُون﴾(١).

اللهم أكرمنا وشرفنا بالعملِ لدينك.

اللهم أنت غياثُنا فبك نغوث وأنت ملاذُنا فبك نلوذ، وأنت عياذُنا فبك نعوذ.. يامن خضعت له رقابُ الجبابرة..، وذلت له أعناقُ القياصرة..، يا ذا المن، ولا يُمن عليه ويا من يُجير ولا يُجار عليه.

ويا من يُجيب المضطَر إذا دعاه ولجأ إليه.

يا من لا تشتبهُ عليه الأصوات..، ولا تختلفُ عليه اللغات.

يا عالمَ الخفيات..، ويا سامعَ الأصوات..، ويا قاضى الحاجات..، ويا باعث الأموات.

ويا عالماً بما هو آت..، يا منقذ الغرقى..، ويا منجى الهلكى ويا سامَع كلِ نجوى..، يا عظيم الإحسان..، ويا دائم المعروف.

لاإله لنا سواك فندعوه..، ولارب لنا غيرك فنرجوه.

يامن يلجأ إليه الخائفون..، ويَا مَنْ يتوكل عليه المتوكلون..، ويَا مَنْ بفضله يتعلقُ الراجون.

إنك لا تردُ سائلاً ولا تمنع راجياً.

اللهم إنا نسألك باسمائِك الحسنى وصفاتك العُلَى وباسمك الأعظم الذى إن سألت به أعطيت..، وإن دُعيت به أجبت..، أن تقيض لهذه الأمة أمر رشد يُعَزُ فيه أهل طاعتك..، ويذلُ فيه أهل معصيك..، ويأمُر فيه بالمعروف..،وينهى فيه عن المنكر..،أنت ولى ذلك ومولاه.

---

(١) سورة يوسف : ٢١ .

اللهم أصلحُ أحـوال المسلمين. . ،الـلهم أغنى فـقـرهم، وارحم ضعفهم، واجبر كسرهم، وأعز ذلهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم انصر دينكَ وكتابك وعبادكَ المؤمنين.

اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمـور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل قولنـا وعملنا خالصاً لوجهك الكريم واجـعلنا بفضلك وكرمك من عبادك المقبولين.

وصلى اللهم وسلم وزد وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

الخطبة الثامنة:

الحج آيات وأحكام(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد الراجحى. بالقصيم. المملكة العربية السعودية.

(1) سورة آل عمران: 102.

(2) سورة النساء: 1.

(3) سورة الأحزاب: 70، 71.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله :

رحلةٌ إيمانية كريمة مباركة.. تُغفرُ فيها الذنوب.. وتُمحى فيها العيوب.. وتطمئنُ فيها القلوب، رحلةٌ تُسكب فيها العبرات.. وتُستجابُ فيها الدعوات.. وتتجلى فيها الرحمات. ويرجع أصحابُها إن صدقوا بمغفرة رب الأرض والسموات.. وقد طهروا من كل ذنب وعيب كيوم ولدتهم الأمهات.

تلكم هى رحلةُ الحج لبيت الله الحرام.. فتعالوا بنا لنعيش هذا الوقت القليل مع هذه الرحلة الكريمة المباركة والتى اخترت لها هذا العنوان:

(رحلةُ الحج آيات وأحكام).

يقول الله عز وجل: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيت وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وهُدىً للعالمين * فيه آياتٌ بَيناتٌ مَقَامُ إبراهيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمناً ولِلَّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ البيْتِ مَنِ استَطَاعَ إِليه سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌ عَنِ العَالمين﴾**[1].

وفى الصحيحين من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال: قلتُ: يارسول الله أى مسجدٍ وضع أول؟ قال: **المسجد الحرام**، قلت: ثم أى. قال:

(١) سورة آل عمران: ٩٦، ٩٧.

المسجد الأقصى قلت: كم بينهما قال: اربعون سنة قلت: ثم أى. قال: ثم حيث أدركت الصلاةُ فصل (فالأرض) كلها مسجد»[١].

فأول بيت وضعه الله للعبادة فى هذه الأرض هو بيتُ الله الحرام.

واختلف الناس فى أول من بناه فقيل: الملائكة.

وقيل: إن أول من بناه هو آدم عليه السلام.

وقيل: إن أول من بناه هو إبراهيمُ عليه السلام..

والراجحُ أن قواعد البيت قديمةٌ وأَمَرَ اللهُ إبراهيمَ وإسماعيلَ أن يرفعا هذه القواعد.

كما فى قول الله عز وجل: ﴿وإذ يَرفَعُ إبراهيمُ القَوَاعدَ منَ البَيت وإسَماعيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل منَّا إنَّكَ أَنتَ السَّميعُ العَليمُ * رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلمين لَكَ ومن ذُرّيتنَا أُمَّةً مُّسلمَةً لَّكَ وَأَرنَا مَنَاسكَنَا وَتُب عَلَينَا إنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحيمُ﴾[٢].

وفى الحديث الطويل الذى رواه البخارى[٣] من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أولُ ما اتخذ النساءُ المِنْطَقَ من قبَل أم إسماعيلَ اتخذت منطقاً لتُعفىَ أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيمُ وبإبنها إسماعيلَ وهى ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحدٌ وليس بها ماءٌ فوضعَهُما هنالك ووضع عندهُمَا جِراباً فيه تمر وسقاءً فيه ماءُ ثم قفَّى إبراهيمُ منطلقاً (أى عائداً) فتبعتْهُ أم

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى ومسلم رقم (٥٢٠) فى المساجد.

(٢) سورة البقرة: ١٢٧، ١٢٨.

(٣) **صحيح**: [٦/ ٢٨٢-٢٨٨] فى الأنبياء.

إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهبُ وتتركُنَا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنسٌ ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفتُ إليها فقالت له: اللهُ أمرك بهذا، قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا.

وفى رواية صحيحة قالت هاجرُ عليها السلام (قد رضيت بالله) ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثَّنِيَّة حيثُ لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿**ربنا إنِّى أسكنتُ من ذريَّتى بواد غَير ذى زَرع عندَ بَيتكَ المحَرَّم ربَّنَا ليُقمُوا الصَّلاَةَ فَاجعَل أَفئدَةً منَ النَّاس تَهوى إليهم وَارزُقهُم منَ الثَّمرَات لَعَلَّهُم يَشكُرُون**﴾[1] وجعلت أمُ إسماعيل ترضعُ إسماعيل وتشربُ من ذلك الماء حتى إذا نفدَ ما فى السقاء، عَطشَت، وعطش ابنها، وجعلت تنظرُ إليه يتلَوَّى - أو قال: يتلبط - فانطلقت كراهيةَ أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبلٍ فى الأرض يَليَها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظرُ هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، فهبطتْ من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف دِرْعها، ثم سَعَتْ سعىَ الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة، فقامت عليها، فنظرت، هل ترى أحداً؟ فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات - قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: **فذلك سعىُ الناس بينهما** - فلما شرفَت على المروة سمعت صوتاً، فقالت صه - تريد نفسها - فإذا هى بالمَلَك عند موضع زمزم، فَبَحثَ بعقبِه - أو قال بجناحه - حتى ظهر الماءُ، فجعلت تَحَوِّضُه، وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرفُ من الماء فى سقائها، وهو يفورُ بعدما تغرف، قال ابن عباس: قال النبى ﷺ: **يرحمُ**

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٧.

الله أم إسماعيل، لو تركت زمزم - أو قال: **لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً**، قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيت الله، يبنيه هذا الغلامُ وأبوه، وإن الله لا يُضِيعُ أهله، وكان البيتُ مُرْتفعاً من الأرض .

(وفى حديث علـى عند الطبرى بإسناد حسنه الحافظ ابنُ حجر فى فتح البارى فناداها جبريل فقال: من أنت، قالت: أنا هاجر أو أمُ ولدِ إبراهيم، قال: فإلى من وكلكما، قالت: إلى اللَّه، فقال: وكلكما إلى كافٍ.

. . . وبعد ذلك جاء إبراهيم إلى إسماعيل بعد ما بلغ إسماعيل مبلغ الشباب وقال إبراهيم: «يا إسماعيل إن اللَّه أوفى بأمرٍ قال: فاصنع ما أمرك ربُك قال وتُعينُنى قال وأُعينُك قال: فإن اللَّه أمرنى أن أبنى هاهُنَا بيتاً وأشار إلى أكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها، قال ابن عباس: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه إبراهيم وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: **﴿رَبَّنَا تَقَبَل مِنَّا إِنَّكَ أنت السميعُ العليم﴾**[1].

وهذا الحجر الذى قام عليه إبراهيم ليتم البناء هو المقام وكان لصيقاً بالكعبة حتى أَخَّرَهُ إلى موضعه عمر بن الخطاب حتى لا يعوق الطواف.

وهكذا بنى إبراهيم البيت وبقى موضعُ الحجر الأسود فقال إبراهيم لإسماعيل اذهب فالتمس لى حجراً وضعه ههنا.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧.

كما فى الحديث الذى أخرجه ابنُ أبى شيبة وإسحاق بن راهوية فى مسنده وعبدُ بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم والأزرقى ورواه الحاكم فى المستدرك وصححه ورواه البيهقى فى الدلائل من حديث على بن أبى طالب (فذهب إسماعيل يطوف فى الجبال فنزل جبريل بالحجر فوضعه، فجاء إسماعيل فقال لأبيه: من أين هذا الحجر؟ قال: جاء به من لم يتكل على بنائى ولا بنائك فلما فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله عز وجل أن يأذن فى الناس بالحج فقال إبراهيم: رب وما يبلغ صوتى فقال أذن وعلينا البلاغ قال إبراهيم: كيف؟ فماذا أقول؟ قال: قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه من بين السماء والأرض ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يلبون) أى يقولون لبيك اللهم لبيك.

والحديث رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم والبيهقى عن ابن عباس بأسانيد قوية كما قال الحافظ ابن حجر فى الفتح فى كتاب الحج. وذكر الإمام السيوطى فى الدر المنثور كل هذه الروايات لمن أراد أن يراجعها.

* هذه هى قصةُ بناء البيت بإيجاز شديد فى قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيت وُضِعَ للنَّاس للذى ببكَّةَ مبَاركاً وهَدىً للعالمين﴾.

وبكةّ هى مكة، وسميت مكة ببكة لشدة الزحام، فالبَكُّ هو الازدحام.

والبكُّ أيضاً دق العنق. وقيل: سميت بذلك لأن مكة تُدق فيها رقابُ الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم.

كما قال عبد الله بن الزيد لم يقصدها جبارُ بسوءٍ قط إلا كسره ودقه الله عز وجل.

وحادثةُ الفيل لا يجهلها مسلمٌ بحال وقد جعلها الله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة كما قال الله عز وجل: ﴿أَلَم تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحاب الفيل * أَلَم يَجعل كَيْدهُم فى تضليل * وأَرسَل عليهم طيراً أَبَابِيل * ترمِيهِم بحجارةٍ من سجيلٍ * فجَعَلَهُم كَعَصف مَّأْكُول﴾.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

* * *

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

أحبتى فى الله:

﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾.

والبركة كثرة الخير وقد جعل الله البيت مباركاً لتضاعف الأعمال الصالحة فيه كما فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**صلاةٌ فى مسجدى هذا أفضلُ من ألف صلاةٍ فيما سواهُ من المساجدِ إلا المسجدَ الحَرامَ**»[1].

﴿فيه آيات بينات مقامُ إبراهيم﴾.

والمقام فى اللغة موضعُ القدمين.

والقول الصحيح كما ذكرنا أنه الحجر الذى قام عليه إبراهيم لتم البناء فغاصت فيه قدماه، وهو الذى نراه اليوم مواجهاً لباب الكعبة شرّفها الله، وكان المقام لصيقاً بالبيت حتى أَخَّرَهُ إلى مكانه الذى فيه الآن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ليسهل للطائفين طوافهم.

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٣٨٣٩]، رواه البخارى (٣/ ٥٤) فى التطوع، ومسلم رقم (٣٩٤) فى الحج، والموطأ (١/ ١٩٦) فى القبلة، والترمذى رقم (٣٢٥) فى الصلاة، والنسائى (٢/ ٣٥) فى المساجد.

﴿ومن دخله كان آمناً﴾.

قـال قتـادة: وذلك أيضاً من الآيـات لأن الناس كانوا يُتَخطفـوا من حواليـه وأهل الحرام آمنون بفـضل الله، كما أمتن الله عليـهم بذلك فى قوله: **﴿أو لم يَروْا أنا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطف الناس من حولهم﴾**(١)، وفى قوله تـعالى: **﴿فليعـبدوا رب هذا البـيت الذى أطعمـهم من جوع وآمنهم من خوف﴾**، وقال بعض أهل اللغة فى قوله تعالى: **﴿ومن دخله كان آمناً﴾** صورة الآية خبر ومعناها أمر فتقديرها ومن دخله فأمنوا كقوله تعالى: **﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾** أى لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا فى الحج.

وقال الإمام القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن الكريم:

وإنما يكون آمناً من النار من دخـله لقضـاء النسك معظمـاً له عارفـاً بحقه متقرباً بذلك إلى الله عز وجل وقال أحدهم: من دخله على الصفاء كما دخله الأنبياء والأوليـاء كان آمناً من عذاب الله وهذا معنى قوله ﷺ كما فى الحديث الصحيح:

«من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(٢).

وفى رواية صحيحة أخرى: **«الحج المبـرورُ ليس له جـزاءً إلا الجنة»**(٣)

﴿ولِلَّه على النَّاسِ حَجُّ البيتِ مَن استطاعَ إليهِ سَبيلا﴾(٤).

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٧.

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٦١٩٧]، رواه أحمد (٢/٢٢٩)، ورواه البخارى (١٥٢١) فى الحج، ورواه مسلم رقم (١٣٥٠) فى الحج، والترمذى رقم (٨١١) فى الحج.

(٣) **حسن**: [ص.ج: ٣١٧٠] رواه أحمد والطبرانى.

(٤) سورة آل عمران: ٩٧.

وهذه الآية الكريمة من أبلغ الآيات فى فرضية الحج فاللام فى قوله تعالى: ﴿ولِلَّه﴾ هى لام الإيجاب، والإلزام، ثم أكد الله الأمر بقوله ﴿على الناس﴾ ولا خلاف فى فرضيته، فهذا أحدُ أركان الدين وقواعد الإسلام.

ومن رحمة الله بهذه الأمة أن الحج لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة لمن استطاع.

كما فى الحديث الذى رواه مسلم وأحمد وغيرهما عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول الله فقال:

«يا أيها الناس قد فرض اللّه عليكم الحج فحجُّوا» فقال رجل: أفى كل عامٍ يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال النبى: «لو قلتُ نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال: ذرونى ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه»[1] (وهذا لفظ مسلم).

﴿لمن استطاع إليه سبيلا﴾.

فمن يسر الله له الاستطاعة وجب عليه أن يعجل، وأن يبادر بحج بيت الله عز وجل، كما فى الحديث الذى رواه أحمد وابن ماجة من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال:

«من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضلُ الراحلة وتَعرِضُ

---

(١) صحيح: [الإرواء: ٩٨٠] رواه مسلم (٤/١٠٢)، والنسائى (٢/ ٢)، والدارقطنى (٢٨١)، وأحمد (٢/ ٥٠٨)، والبيهقى (٤/ ٣٢٦).

(٢) حسن: [ص.ج: ٦٠٠٤] رواه أحمد فى المسند رقم (١٩٧٣)، (١٩٧٤)، والحاكم (١/ ٤٤٨)،والترمذى رقم (١٧٣٢) فى الحج، والبيهقى فى سننه (٤/ ٧٤٠).

وفى رواية لأحمد قال رسول الله ﷺ:

«تعجلوا إلى الحج (يعنى الفريضة) فإن أحدكم لا يدرى ما يعرضُ له»[١].

ومن حدود الاستطاعة للمرأة المسلمة أن يوجد المَحْرَم حتى ولو كانت تحج حجة الفريضة.

فلقد نهى النبى نهياً صريحاً شديداً أن تسافر المرأة المسلمة إلا مع ذى محرم.

ومن عظيم اهتمام النبى ﷺ بهذا الأمر أن رجلاً خرج مجاهداً فى سبيل الله وخرجت امرأته حاجة وحدها بغير محرم وجاء يسأل النبى فأمره النبى أن يرجع عن الجهاد وأن يخرج ليحج مع امرأته حتى لا تذهب بغير محرم ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يخطب، يقول:

«لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو مَحْرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم».

فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتى خرجت حَاجَّةً، وإنى اكْتُتِبْتُ فى غزوة كذا وكذا، قال: «انطلق فحجَّ مع امرأتك»[٢].

وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ:

«لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافرُ مسيرة يوم وليلة وليس معها ذو حرمةٌ منها»[٣].

---

(١) **حسن**: [الإرواء: ٩٩٠]، رواه أحمد (١/ ٣١٤، ٣٢٣، ٣٥٥)، وابن ماجه رقم (٣٨٨٣)، وأبو نعيم (١/ ١١٤)، والخطيب فى الموضح (١/ ٢٣٢، ٤/ ٣٤٠).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤/ ٦٤، ٦٥) فى الحج، ومسلم رقم (١٣٤١) فى الحج.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢/ ٤٦٨) فى تقصير الصلاة، ومسلم رقم (١٣٣٩) فى الحج، والموطأ (٢/ ٩٧٩) فى الاستئذان، وأبو داود رقم (١٧٢٣)، (١٧٢٤)، (١٧٢٥)، والترمذى رقم (١١٧٠).

وقد ضيع المسلمون والمسلمات إلا من رحم الله هذا الأمر النبوى الكريم. . !! ومنهم والعياذ بالله من جادلك فى هذا الأمر فى عصر الحضارة والمدنية الزائفة الذى تسمح فيه للمرأة أن تخرج للعمل أو للسفر بدون محرم. . !! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويختم الله الآيات بقوله:

﴿**ومن كفر فإن اللَّه غنى عن العالمين**﴾.

قال ابن عباس ومن كفر بفرض الحج ولم يره واجباً فإن الله غنى عن العالمين لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

* * *

الخطبة التاسعة:

باقة من بستان النصح فى ليلة أنس وعرس(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

(*) ألقيت هذه المحاضرة بمسجد التوحيد بالمنصورة (حفل زواج).

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة فى النار.

أما بعد: فمرحباً مرحباً بأحبتى فى الله.

نضَّر الله هذه الوجوه التى طال شوقنا إليها وزكى الله هذه الأنفس التى انصهرنا معها فى بوتقة الحب فى الله.

وشرح الله هذه الصدور التى جمعنا وإياها كتاب الله.

وإنه لمن فضل الله تعالى أن نلتقى بحضراتكم أول ما نلتقى بعد طول غيبة فى هذه المناسبة السعيدة الكريمة المباركة.

وصدق الله إذ يقول: ﴿**ومن آياته أن خَلَقَ لكُم من أنفُسكُم أزواَجاً لتسكُنُوا إليهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَودَّةً ورَحمَةً إنَّ فِى ذَلكَ لآيَاتٍ لقومٍ يتفكَّرُون**﴾[1].

وحتى لا أطيل عليكم فسوف أركز الحديث فى عدة عناصر :

أولاً: ليلةٌ هانئة وعيشة راضية.

ثانياً: وصيةُ أمٍ لابنتها عند الزواج.

ثالثاً: وصيتى للشباب والأزواج.

رابعاً: نداء للآباء والأمهات.

فأعيرونى القلوب والأسماع وتعالوا بنا لنبدأ بالليلة الهانئة.

---

(١) سورة الروم: ٢١.

أولاً - ليلة هانئة وعيشة راضية:

حدثنا التاريخ أن شريحاً القاضى قابل الشعبى.

وأظنكم تعرفون شُريحاً إنه شُريحُ بن شراحيل أو شُرَحْبيل الذى ولاه عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه قضاءَ الكوفة فأقام عليه ستين سنة وضُرب المثلُ بعدله وصدقه ومن أراد أن يرجع إلى ترجمته فليرجع إلى كتاب سير أعلام النبلاء للذهبى فى المجلد الرابع.

أما الشعبىُ فهو التابعىُ الجليل عَلاَّمَة عصره وزمانه ولد سنة ثمانٍ وعشرين من الهجرة وقال فى حقه سعيد بن زيدٍ عن مكحول قال: ما رأيت أحداً أعلم من الشعبى.

له ترجمة طويلة فى سير أعلام النبلاء فليرجع إليها من أراد فى المجلد الرابع أيضاً.

أيها الأحباب:

يحدثنا التاريخ أن شُريحاً قابل الشَعَبى يوماً فسأله الشعبى عن حاله فى بيته فقال له شريح: منذ عشرين عاماً لم أر ما يغضبنى من أهلى، قال له وكيف ذلك؟ قال شريح:

من أول ليلةٍ دخلت علىّ امرأتى ورأيت فيها حسناً فاتناً وجمالاً نادراً، قلت فى نفسى أصلى ركعتين شكراً لله عز وجل.

فلما سلَّمت وجدت زوجتى تصلى بصلاتى وتسلم بسلامى.

فلما خلا البيتُ من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدى نحوها فقالت: على رسلك يا أبا أمية كما أنت. ثم قالت:

إن الحمد لله أحمده واستعينه وأصلى على محمد وآله وبعد. فإنى

امرأة غريبـة، لا علم لى بأخلاقك، فبين لى ما تحب فـآتيه، وبين لى ما تكره فأتركه، ثم قالت:

فلقد كان لك فى قومك من هى كفء لك، ولقد كان فى قومى من هو كُفء لى، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفـعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولك.

من منا سمع مثل هذا الكلام ليلة عُرسه!؟؟

قال شريح: فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخُطبة فى ذلك الموضوع، فقلت: أحمد الله واستعينه وأصلى وأسلم على النبى وآله وبعد فإنك قلت كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجةً عليك، فإنى أحب كذا وكذا، وأكـره كذا وكذا، وما رأيت من حسنةٍ فانشـريها، وما رأيت من سيئةٍ فاستريها فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلى؟

قلت: ما أحب أن يملنى أصـهارى. فقالت: فمن تحـب من جيرانك أن يدخل دارك فآذنُ له ومن تكرهُ فأكره.

قلت: بنو فلانٍ قوم صالحون وبنو فلانٍ قومُ سوء.

قال شـريح فبت معـها بأنعم ليلة. فَمَكَثَت مـعى عشرين عـاماً لم أعتب عليها فى شىء إلا مرة وكنت لها ظالماً.

يالها من حياة هانية وعيشةٍ راضية.

وصدق من قال:

رغـيفُ خـبـزٍ واحـدٍ تـأكـلـه فـى زاوية
وكـوزُ مـاءٍ بـاردٍ تشـربه مـن صـافـية

وغـــرفـــةٌ نظيـــفـــةٌ   نفسُك فيـــهـا هانيـة
وزوجــــةٌ مطيـــعـــةٌ   عـينك عنـهـا راضيـة
وطفلـــة صـــغـــيـــرةً   مـحفوفـةٌ بالعـافـيـة
واخـــتـــارك الله لــــه   حـتى تكون داعـيـة
خيرٌ من الدنيا وما فيها   وهى لعـمـرى كافـيـة

ثانياً - وصية أم لابنتها عند الزواج :

خلت الأمُ الصالحة العاقلة البليغة أُمامةُ بنتُ الحارث خلت بابنتها فى ليلة زفافها وأهدت إليها هذه الوصية الغالية.

فانتبهوا معى أيها الأحباب وانتبهن أيتها الأخوات الفضليات والأمهات الكريمات.

قالت الأم لابنتها: أى بنيه إن الوصـية لو تركت لفضل أدب لتركتُ ذلك لك ولكنها تذكرةً للغافلة ومعونة للعاقلة.

أى بنيه: لو أن امرأةً استغنت عن الزوج، لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، لكنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، فخذى وصيتى فإن فيها تنبيه للغافل ومعونة للعاقل.

أى بنيه: إنك فارقت الجـو الذى منه خرجت، وخلفت العيش الذى فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيـه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكونى له أمةً يكن لك عبداً.

واحفظى له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً.

أما الأولى والثانية:

فالخضوع له بالقناعة، وحسنُ السمعِ له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة:

فالتفـقدُ لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عـينُه منكِ على قبيح، ولا يشمُ منكِ إلا طيبَ ريح.

وأما الخامسة والسادسة:

فالتفقد لوقت منامه وطعامـه. فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النومِ مغضبة.

وأما السابعة والثامنة:

فالاحتراسُ بماله والإرعاءُ على حشـمه وعياله، وملاكُ الأمرِ فى المال حسنُ التدبير وفى العيال حسنُ التقدير.

وأما التاسعة والعاشرة:

فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدرة، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره.

ثم إياك والفـرح بين يديه إن كان مـغتـماً، والكآبة بين يديـه إن كان فرحاً.

* هذه هى أخلاقُ المرأة المسلمة، وهذا فهمها، وهذه وصيتها، وتلك ثقافتها، فبالله عليكم هل سمعتم كلاماً وعقلاً وحكمة كهذه.

* هذه هى المرأة المُسلمة، يوم أن تسربلت بأخلاق الإسلام، وتربعت على عرش حيائها تهز المهد بيمينها وتزلزل عروش الكفر بشمالها، ووالله من كانت هذه أخلاقُها فهى من أهل الجنة.

ففى الحديث الذى رواه النسائى والطبرانى فى الصغير والأوسط وهو حديث حسن بشواهده حسنة شيخنا الألبانى.

أن النبى ﷺ قال:

«**نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها** (أى بالنفع والخير) **التى إذا غضب زوجها جاءت حتى تضع يدها فى يد زوجها وتقول لا أذوق غُمضاً** (أى نوماً) **حتى ترضى**».

ثالثاً - وصيتى للشباب عامة والأزواج خاصة:

أوصى الشباب بما أوصاهم به المصطفى ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم قال النبى ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[١].

وأبشرهم بحديث رسول الله ﷺ الذى رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، وابن حبان فى صحيحة والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثةٌ حق على الله عونهم: المجاهدُ فى سبيل الله، والمُكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العَفَافَ**»[٢].

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٧٩٧٥] رواه البخارى (٤/١٠٦) فى الصوم، ومسلم رقم (١٤٠٠) فى النكاح، وأبو داود رقم (٢٠٤٦) فى النكاح، والترمذى (١٠٨١) فى النكاح، والنسائى (٤/١٦٩) فى الصوم، (٦/٥٦، ٥٧) فى النكاح.

(٢) **حسن**: [ص. النسائى: ٣٠١٧]، رواه الترمذى رقم (١٦٥٥) فى فضائل الجهاد، والنسائى (٦/٦١) فى النكاح، ورواه أحمد وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وصححه.

وأوصى الأزواج بنسائهم خيراً كما أمرنا الله عز وجل بقوله:

﴿وعَاشرُوهُن بالمعروف فإن كَرِهتُمُوهُن فَعَسَى أن تكرهوا شَيئاً ويَجعَلَ اللَّهُ فيه خَيراً كثيراً﴾[١].

ولأمر النبى ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً**»[٢] والحديث رواه البخارى ومسلم.

فزوجك أمانة، أمنك الله إياها، وسوف يسألك عنها يوم القيامة، والرجل راع فى أهل بيته ومسئول عن رعيته وهذا موضوع طويل.

وأخيراً أوصى الأباء والأمهات بعدم المغالاة فى المهور، والإسراف فى الجهاز والنفقات، وغيرها، فإنها تمحق بركة الزواج، وهذا هو الذى جعل أكثر الشباب عَزَبَاً وجعل أكثر البنات عوانس، والجريمة جريمة الأولياء الذين يتشددون فى هذا الأمر، وهذا من أقوى أبواب الفساد فى الأمة والعياذ بالله.

واذكركم بحديث النبى ﷺ الذى رواه أحمد فى مسنده والحاكم وفى سنده عيسى بن ميمون قال البخارى منكر الحديث وباقى رجالُه ثقات وأخرجه ابن حبان فى صحيحه من طريق آخر وسنده حسن.

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**إن أعظم النكاح بركة أيسرُهُ مؤُنَة**».

أسأل الله الهداية والرشاد للجميع وبارك الله للعروسين وبارك عليهما وجمع بينهما فى الخير دائماً إنه ولى ذلك ومولاه.

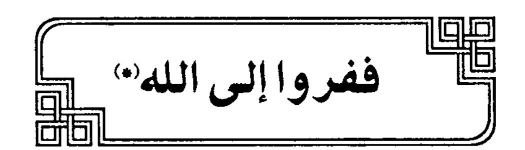
* * *

---

(١) سورة النساء: ١٩.

(٢) **متفق عليه**: [ص.ج: ٩٦٠]، رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

الخطبة العاشرة :



ففروا إلى الله(*)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(2).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3).

(*) ألقيت هذه الخطبة بمسجد مجمع الإيمان بالمنصورة.

(1) سورة آل عمران: ١٠٢.

(2) سورة النساء: ١.

(3) سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١.

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

ثم أما بعد.. فحيَّاكم الله جميعاً وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً.

وكعادتنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم تحت هذا العنوان فى العناصر التالية:

أولاً: سفينة واحدة.

ثانياً: انتكاس الفطرة.

ثالثاً: عقاب إلهى.

رابعاً: لا ملجأ من الله إلا إليه.

أولا: سفينة واحدة

نعم أيها الأحبة.. فنحن جميعاً ركابُ سفينةٍ واحدة إن نجت نجونا جميعاً وإن هلكت هلكنا جميعاً.

ولقد حسم النبى ﷺ هذه الحقيقة فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«مثل القائم على حُدودِ الله والواقِع فيها، كمثلِ قومٍ استهموا على سفينةٍ، فأصَابَ بعضُهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استَقَوا من الماء مَرُّوا من فوقهم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم

نؤذِ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعاً وإن اخذوا على ايديهم نَجَوا ونَجَوا جميعاً»[١].

فواجب على أهل الحق من المصلحين الصادقين أن ينذروا، ويحذروا أهل الفساد، والواقعين فى حدود الله عز وجل، وأن يأخذوا على أيديهم قبل أن تغرق السفينة بالجميع .

وهذا الواجب الضخم قد جعله رسول الله ﷺ فرض عين على كل مسلم على اختلاف مراتبه ودرجاته.

ففى الحديث الذى رواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[٢].

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنَّ النبى ﷺ قال: **«ما من نبى بعثه الله فى أمة قَبْلِى إلا وكان من أُمَّتِهِ حَوَارِيُّون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنَّه تخلُفُ من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّةُ خردَل»**[٣].

---

(١) **صحيح** : [ص.ج: ٥٨٣٢]، رواه البخارى (٥/٩٤) فى الشركة، والترمذى رقم (٢١٧٤) فى الفتن.

(٢) **صحيح** : [ص.ج: ٦٢٥٠]، رواه مسلم رقم (٤٩) فى الإيمان، والترمذى رقم (٢١٧٣) فى الفتن، وأبو داود رقم (١١٤٠) فى صلاة العيدين، رقم (٤٣٤٠) فى الملاحم، والنسائى (٨/١١١) فى الإيمان، وابن ماجه رقم (٤٠١٣) فى الفتن.

(٣) **صحيح** : [ص.ج: ٥٧٩٠]، رواه مسلم رقم (٥٠) فى الإيمان، وأحمد فى مسنده (١/٤٥٨).

فإن عجز أحد من الناس أن ينكر بيده أو بلسانه فإن إنكار القلب كمرتبة من مراتب الإنكار فرض عين على كل مسلمٍ ومسلمة ولا يعذر أحدٌ بتركه على الإطلاق.

وذلك بكره المنكر وبغض أهل المنكر. أما هذه السلبية المدمرة القاتلة التى يرفع العلمانيون شعارها بقولهم : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فلا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة. ولكل أحدٍ أن ينتقد ما يشاء وأن يفعل ما يشاء فى أى وقت شاء وأن ينطلق ليختار لنفسه من المناهج والقوانين ما يحب ويرضى، وليس من حق أحد أن ينكر عليه أو أن يأخذ على يديه.

بل وقد يتشدق أحدهم كالثعلب فى ثياب الواعظين ويردد قول الله عز وجل : ﴿**يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾(١).

وقديماً خاف صّديق الأمة الأكبر أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه خاف هذه السلبية القاتلة، من منطلق فهم مغلوط مقلوب لهذه الآية الكريمة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى، ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيرون، إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب**»(٢).

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥

(٢) **صحيح**: [ص.ج: ٥٧٤٩] ، رواه الترمذى رقم (٣٠٥٩) ، (٢١٦٩) فى الفتن ، وأبو داود رقم (٤٣٣٨) فى الملاحم، وابن ماجه رقم (٤٠٠٥) فى الفتن، وأحمد فى المسند رقم (٢).

وهكذا فإن وجـود المصلحين الصادقين سبب من أسبـاب النجاة من الإهلاك العام، فإن فقدت الأمة هذا الصنف الكريم الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحل عليـها عذاب الله حـتى وإن كثر فـيها الصـالحون الطيبون لأنهم سكتوا حـتى كثر الخبث وأصبح أمراً عادياً مسـتساغاً تألفه النفوس.

وحينئذ يستحق الجميع عقـاب الله جل وعلا كما فى الصحيحين من حديث زينب بنت جـحش رضى لله عنها أن النبى ﷺ دخل عليهـا يوماً فزعاً وفى رواية استيقظ يوماً من نومه فزعاً وهو يقول: **لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، لقد فتح اليوم من رَدْمِ ياجوج وماجوج مثلُ هذه،** وحلق بإصبعـيْه السبابة والإبهام فقـالت زينب يا رسول الله: أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»(١).

ولقد بوّب الإمام مالك رحمـه الله فى موطأه باباً بعنوان بابُ ما جاء فى عذاب العامة بعمل الخاصة.

بل لقد روى الإمـام أحمد فى مسنده وأبـو داود فى سننه بسند حسن من حديث عُدى بن عمـير أن النبى ﷺ قال: «**إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة**».

وهكذا فواجب على أهل الحق المصلحين أن يأخذوا على أيدى الواقعين فى حدود الله وألاّ يتركوهم حتى لا تغرق السفينة بالجميع.

---

(١) **متفق عليه**: [ص.ج: ٧١٧٦]، رواه البخارى (١٣/٩-١٠، ٩١-٩٢)، ومسلم (٨/١٦٥-١٦٦)، وابن حبان (١٩٠٦).

هذه مقدمة لابد منها لندخل بها إلى العنصر الثانى وهو :

انتكاس الفطرة

حيث أننا نرى مؤامرة مفضوحة يريد أصحابها وأذنابها أن يفرضوا على المجتمعات المسلمة ماوصلت إليه المجتمعات الغربية الكافرة من انتكاس سحيقٍ للفطرة.

فالجاهلية الحديثة فى أوروبا وأمريكا لم تكتف بنشر الزنا، والشذوذ الجنسى، ونكاح المحارم بل قَنَّنت لهذا..!!، وأصبح هذا الانتكاس للفطرة أمراً عادياً عندهم لا يثير الدهشة أو التساؤل..!!!

وهم الآن يريدون أن يملوا ويفرضوا هذا الانحراف الشاذ على المجتمعات المسلمة.

ولقد صدرت دراسات عديدة تبين أن اليهود وأتباعهم، قد نجحوا من خلال سيطرتهم على بيوت المال، وأجهزة الإعلام المرئية.. والمسموعة.. والمقروءة، قد نجحوا فى نشر الرذيلة فى العالم كله بصفة عامة، وفى أوربا وأمريكا بصفة خاصة. حتى أضحت المشكلة كبيرةً وخطيرة بشكل لا يتصور.

وأستطيع أن أنقل لكم فى عجالة بعض ما جاء فى هذه الدراسات بقدر مايسمح به الحياء والمقام.

أولاً: تشير الدراسة إلى أن تسعين بالمائة من غير المتزوجات يمارسن الزنا بطلاقة أو من حين لآخر فى أوروبا وأمريكا.

ثانياً : تشير الدراسة إلى أن عدد حالات الإجهاض الجنائى قد بلغ فى عام ١٩٨٣ إلى ٥٠ مليون طفل .

ثالثاً : أصبح الحمل لدى المراهقات، مشكلة كبيرة فى أوربا وأمريكا ففى أمريكا وحدها أكثر من مليون فتاة صغيرة تَحمَل سنوياً من الزنا.

ولم يتوقف الأمر عند الزنا فقط بل لقد انتشر الشذوذ الجنسى بكل صورة ، مادام بدون إكراه . . . !!

بل وتكونت آلاف الجمعيات والنوادى التى ترعى شئون الشاذين والشاذات.

وتقول دائرة المعارف البريطانية: إن الشاذين والشاذات قد خرجوا من دائرة السرية إلى الدائرة العلنية. . !!، وأصبحت لهم أماكنهم الخاصة التى يلتقون فيها.

وتشير الدراسات إلى أن عدد الشواذ فى أمريكا وحدها أكثر من عشرين مليونا وأصبحت لهم معابد وكنائس خاصة تقوم بتزوجيهم. . أى تزويج الرجال للرجال، وتزويج النساء للنساء. . فى حفلات خاصة يدعى إليها الأهل والأصدقاء!!!

بل لقد نشرت مجلة التايم الأمريكية، قصة ضابط يهودى فى الجيش الأمريكى علقٍ لوحة ضخمة فى مكتبه الخاص، تعلن هذه اللوحة أن الضابط شاذ جنسياً. . !! فلما طردته إدارة الجيش، شن الإعلام حملة ضارية على هذا التعنت والتشدد من قبل إدارة الجيش، واضطر الجيش لإعادة هذا الضابط الشاذ. . !!، ثم دعى بعد ذلك لإلقاء محاضرات فى الشذوذ فى أكبر الجامعات الأمريكية.

بل لم يتوقف هذا الانتكاس السحيق عند هذا الحد فحسب بل تعداه أيضاً إلى نكاح المحارم من الأمهات والأخوات.

وأول من دعا إلى ذلك فرويد اليـهودى الذى جـاء بنظريـات هابطـة لا تقوم إلا على الجنس.

حتى ادعى أن الطفل لا يحب أمه إلا حباً جنسـياً محضاً. . !! ولهذا يكره الإبن أباه. . !! وسمى فرويد اليهودى هذه الكُره بعقدة «أوديب».

وقال بأن الطفلة أو البنت أيضاً لا تحب أباها إلا حباً جنسياً محضاً. . !! ولذا تكره أمها، وسمى هذا الكُره بعقدة «إليكترا».

ومما يدمى القلب أن هذا الهـراء. . والغثـاء. . يدرس لأبنائنا وبناتنا فى أخطر المراحل الدراسيـة. . !! على أنه من أبواب علم النفس، وهذا ورب الكعبة شئ يؤلم النفس!!!

ولقد نشرت مـجلة التايم الأمريكية تحـقيقاً واسـعاً عن نكاح المحارم وذكرت فيه تقرير أحد الباحثين (وادل بومرى) إذ يقول :

لقد آن الأوان لكى نعترف بأن نكاح المحارم ليس شذوذاً. . !!، ولا دليلاً على الاضطراب العقلى. . !! بل قـد يكون نكاح المحارم، وخاصة بين الأطفال وذويهم أمراً مفيداً لكليهما. . !!!

ألم أقل إنه انتكاس للفطرة ؟!!

لكـنه الإنســـان فى غلـوائه ... ضلت بصـيــرته فَجُنَّ جنونا

ويحى لمنتـحـر كـأن لنفـسـه ... من نفســه حقـد الحقـود دفينا

اعتدَّ أسلحة الدمار فَمَا رعت ... طفـلا ولا امـرأة ولامـسكينا

واليـــوم مـدّ يديه لـلأرحـام ... تقـتلعان منهـا مـضغـة وجنينا

قد صِيغ من نور وطين فانبرى ... للنـور يُطفـئــه ولبى الـطينا

ما أضيع الإنسان مهما رقى فى ... سـبل العلوم إذا أضـاع الدينا

﴿فمن اتبع هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى * ومَنْ أعرَضَ عن ذكرى فَإنَّ له مَعيشَةً ضَنكًا ونَحشُرُهُ يومَ القيامة أعمَى * قال رَبِّ لمَ حَشَرتَنى أعمَى وَقَد كُنتُ بَصيرا * قال كَذَلكَ أتَيتكَ آياتُنَا فَنَسيتَهَا وكَذَلكَ اليَومَ تُنسَى﴾(١).

﴿أَفَأَمنَ أَهلُ القُرَى أن يَأتيَهُم بَأسُنَا بَيَاتاً وهُم نَائمُون * أوَ أَمنَ أَهلُ القُرَى أن يَأتيَهُم بأسُنَا ضُحىً وهُم يلعَبُون * أفَأَمنُوا مكرَ اللّه فَلاَ يأمَنُ مكرَ اللَّه إلاَّ القَومُ الخَاسرُون﴾(٢).

ونتيجة لهذا الأمن من مكر الله، بل لهذا الكفر بمنهج الله، ابتلى الله هذه المجتمعات الغربية الكافرة بهذه الأمراض الفتاكة الخطيرة التى وقفوا أمامها وقفة العاجز على الرغم مما وصلوا إليه فى الجانب العلمى.

ثالثاً: عقاب إلهى

نعم إنه عقاب إلهى لكل من خرج عن منهج الله وتحدى الفطرة فلقد انتشر الإيدز المعروف بمرض نقص المناعة، وبدأ يتزايد فى السنوات الأخيرة بصورة مرعبة فلقد ذكرت منظمة الصحة العالمية فى اجتماعها المنعقد فى باريس فى يونيه عام ١٩٨٦ ذكرت أن عدد الذين يحملون فيروس الإيدز يتراوحون مابين خمسة عشر مليون شخصاً.

هذا فى عام ١٩٨٦ فما بالنا كم بلغ عددهم الآن؟؟!!

وقد خصصت أمريكا ألفى مليون دولار سنوياً للإيدز.

---

(١) سورة طه: ١٢٣-١٢٦.

(٢) سورة الأعراف: ٩٧-٩٩.

ومما يثير الرعب والخوف أن هذا المرض لم ينجُ من براثنه أحدٌ من المصابين به على الإطلاق حتى الآن رغم هذه الملايين التى تنفق بسخاء فى الأبحاث للوصول إلى علاج لهذا المرض الفتاك، ولن يصلوا إلى العلاج الحقيقى على الإطلاق، ما دامت الأسباب الحقيقية لانتشاره لازالت موجودة . وهى إنتشار الزنا والشذوذ الجنسى بكل صورة.

وهذا ما أكدته الأبحاث والدراسات العلمية فى أن هؤلاء هم أكثر الناس إصابة بهذا المرض الخطير.

هذا بالإضافة إلى الأمراض الخطيرة الأخرى التى انتشرت واستشرت كالسرطان والزهرى والهربس والسيلان وغيرها.

وتحقق قول من لا ينطق عن الهوى بأبى هو وأمى ﷺ إذ يقول : **«لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم الأوجاع والأسقام التى لم تكن فى أسلافهم»**[1]. أليس ربك هو القائل :

﴿ والنجم إذا هوى * ما ضلَّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحىٌ يوحى ﴾[2].

أقول قول هذا واستغفر الله لى ولكم

* * *

(١) **صحيح**: [ص.ج: ٧٩٧٨]، رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وأبو نعيمٌ فى الحلية (٨/ ٣٣٣، ٣٣٤)، ورواه الحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وهو جزء من حديث «يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن. . . الحديث».

الخطبة الثانية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ.

وبعد..

فيا أيها الأحباب:

وأخيراً: لا ملجأ من الله إلا إليه

فلا سعادة للبشرية عامة، وللمسلمين خاصة، إلا بالعودة لمنهج الله عز وجل الذى خلق الإنسان وحده، وهو وحده الذى يعلم ما يسعده وما يفسده ﴿أَلاَ يَعلَمُ مَنْ خَلَق وهُوَ اللطيفُ الخَبير﴾[١].

فمنهج الله لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها إنما ينظمها ويطهرها ويرفعها عن المستوى الحيوانى والبهيمى ويرقيها إلى أسمى المشاعر والعواطف، التى تليق بالإنسان كإنسان، ويقيم العلاقة بين الرجل والمرأة فقط على أساس من المشاعر النبيلة الرقيقة الراقية الطاهرة فيقول سبحانه:

﴿وَمن آيَاته أَن خَلَقَ لَكُم من أنفسكُم أَزواجاً لتَسكُنوا إليهَا وَجَعَلَ بَينَكُم مَودَّةً وَرَحمَةً إنَّ فى ذَلكَ لآيات لقوم يَتَفكَرُون﴾[٢].

ويهيئ منهج الله المناخ الطاهر النظيف ليتنفس المسلم فى جو اجتماعى طاهر نقى يتفق مع الفطرة السوية .

بل ويحدد منهج الله كثيراً من الضمانات الوقائية التى تحمى المجتمع المسلم من الوقوع فى مستنقع الرذيلة الآسن العفن.

---

(١) سورة الملك: ١٤. (٢) سورة الروم: ٢١.

ثم يعاقب بعد ذلك من ترك هذه الضمانات طائعاً مختاراً، وراح ليتمرغ فى وحل الرذيلة والفاحشة وليعيث فى الأرض الفساد.

وهذا هو قمة الخير للإنسانية كلها، ولتعيش الجماعة كلها، فى هدوء وأمان. إذ أن منطق العقلاء يقول:

لو أن إنساناً أُصيب فى طرف من أطرافه بمرض السرطان وقرر الأطباء أنه إذا لم يبتر هذا الطرف فإن الداء سوف يسرى فى جميع الجسد ويقضى على حياة صاحبه. أما يكون من الرحمة أن نستأصل هذا الطرف للإبقاء على حياته بإذن الله جل وعلا.

كذلك الفرد إذا استعصى علاجه ولم تؤثر فيه تربية ولم تنفعه موعظة ولم يقبل نصيحة وتأصلت روح الجريمة فى نفسه وقام منتهكا للأعراض مضيعاً للحرمات.

أيكون الأخذ على يديه لكف شره عن الجماعة كلها قسوة وعنف؟!!

لا والله بل إنها الرحمة والحكمة بعينها مصداقاً لقول ربنا عز وجل:

﴿ولَكُم فى القَصَاصِ حياةٌ يا أُولِى الألباب لعلكم تتَقُونَ﴾[1].

ومن هنا جاء منهج الله بهذه الأحكام ليحفظ على الإنسانية عرضها وشرفها ونسلها.

فقال سبحانه: **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجلدُوا كل واحد منهُمَا مائَةَ جلدة ولا تَأخُذكُمْ بهمَا رَأفةٌ فى دينِ اللَّه إن كُنتم تُؤمنُونَ باللَّه واليوم الآخرَ وليَشهَد عذَابَهُمَا طائفةٌ من المؤمنينَ * الزَّانى لا يَنكحُ إلاَّ زَانيةً أو مُشركَةً والزَّانيةُ لا ينكحُهَا إلاَّ زانٍ أو مُشركٌ * وحُرِّمَ ذَلكَ عَلَى المؤمنين﴾[2].**

---

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

(٢) سورة النور: ٢-٣.

أمّا إذا كان الزانى محصناً فإنه يرجم كما دلت على ذلك السنة الصحيحة[١].

وقد عاقب الله قوم لوط أشد العقاب لانتكاس فطرتهم وخروجهم عن منهج الله الذى أمرهم به نبى الله لوط على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُم تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[٢].

وقال تعالى فى حقهم:

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[٣].

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به[٤].

وبعد .. أيها الأحبة فلقد آن الأوان بعد ما رأينا هذه المآسى أن نفيىء جميعاً إلى منهج الله، وأن نكفر بمنهج الشرق الملحد، وبمنهج الغرب الكافر.

---

(١) عن جابر بن عبد الله الأنصارى: أن رجلاً من أسلَم أتى رسول الله ﷺ فحدثه أنه قد زنى، فشهد على نفسه أربع شهادات، فأمر به رسول الله ﷺ فرجم، وكان قد أُحصن والحديث رواه أبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود رقم (٣٧٢٥).

(٢) سورة النمل: ٥٤-٥٧.

(٣) سورة الحجر: ٧٤.

(٤) صحيح: [ص.ج: ٦٥٨٩]، أخرجه أبو داود رقم (٤٤٦٢) فى الحدود، والترمذى رقم (١٤٥٦) وابن ماجه رقم (٢٥٦١)، وابن الجارود (٨٢٠)، والدارقطنى (٣٤١)، والحاكم (٤/ ٣٥٥)، وأحمد (١/ ٣٠٠).

إذ لا سعادة فى الدينا والآخرة إلا بالعودة إلى منهج الله بعد أن أَحَرَقَنَا لَفَحُ الهاجرةِ القاتل، وأرهقنا طول المشى فى التيه والظلام.

وها هو الإسلام لازال يعرض نفسه كمخلص للبشرية كلها من كل أمراضها وعللها لأن هذه الحياة البشرية من خلق الله ولن تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله.

وأخيراً أردد مع مؤمن آل فرعون:

﴿فَسَتَذكُرونَ ما أَقُولُ لَكُم وأُفوِّضُ أَمرى إِلَى اللَّه إِنَّ اللَّهَ بَصيرٌ بالعباد﴾[1].

اللهم أرزقنا قبل الموت توبة، وعند الموت شهادة وبعد الموت جنة ورضوانا، اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة ولا تحرمنا الزيادة أنت ولى ذلك ومولاه وصلى الله على نبينا محمداً وعلى آله وصحبيه أجمعين.

* * *

(١) سورة غافر: ٤٤.

الفهـــرس



مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ تلفاكس : ٣٦٣٣١٤ ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانىء الأندلسى ت : ٤٠٣٨١٣٧ تلفاكس : ٤٠١٧٠٥٣